314

HARLEQUIN

روايات أحلام

آخر من يعلم !

جيسيكا هارت

www.liilas.com
كوكا الحلوة

آخر من يعلم!

قد يقول أصدقاء فريا عنها إنها فتاة متهورة لا تفكر كثيراً قبل اتخاذ قراراتها. ولكن قرارها الآن نهائي وواضح. فقد وجدت الرجل المناسب لها. الصحافي الفاتن والمشهور دان فرير. وسوف تشد انتباهه إليها حتى يقع في غرامها...

فلماذا الآن وقد بدأت تحضر لحفلة زفافها. اختارت عريساً آخر لها، ماكس تورنتون. الرجل الذي لا يثير فيها إلا مشاعر الكراهية والسخط. إنها لا تعلم... حتى ماكس الغافل لم يعلم بعد أنه سيكون العريس!

لبنان،	2500ل.ل	البحرين،	1دينار
سوريا،	75ل.س.	السعودية،	10ريال
الأردن،	1.5دينار	مصر،	8جنيه
الكويت،	750فلس	المغرب،	15درهم
الإمارات،	10دراهم	تونس،	2دينار
قطر،	10ريال	عمان،	1ريال

ISBN 9953-15-190-3

١ ـ أريد أن أحب

ـ لقد وجدت الرجل المناسب لي.

كان نيل يتمرن بقربها على آلة الركض بسرعة لا تتطلب منه بذل مجهود أقل سرعة تحافظ عليها، حين خانته قدماه وتعثر من وقع كلماتها عليه.

سألها بعد أن استعاد توازنه: «ماذا قلت؟».

افترّ ثغر فريا عن ابتسامة عريضة تدل على رضاها عن التأثير الذي خلفه كلامها المثير ذلك.

ـ لقد سمعتني جيداً.

ـ من هو؟

ـ [illegible] فريزر.

لفظت اسمه بلا مبالاة متعمدة وهي تحاول جاهدة أن تلتقط أنفاسها. على الرغم من أنها انتسبت إلى النادي الرياضي منذ أسابيع، إلا أنها لم تكتسب بعد المهارة اللازمة لاستعمال هذه الآلات من دون أن تلهث [illegible].

رمقها نيل بنظرة اطراء وقد بدت على محياه علامات التأثر: «حقاً؟ أتقصدين ذلك المراسل الصحفي الذائع الصيت الذي يظهر دوماً على شاشات التلفزيون مرتدياً سترات خلابة تنم عن ذوق رفيع؟».

ـ إنه هو!

ـ حسناً متى حصل ذلك؟

لم تجد فريا سبيلاً للإنكار فقالت معترفة: «لم يحصل شيء بيننا بعد. لكنني عقدت العزم على المضي قدماً بذلك... لطالما سمعتك ولوسي

ترددان على مسمعي أن الوقت قد حان لأعيد النظر في نمط حياتي . . لذا خطر لي أن أخطو الخطوة الأولى على درب التغيير وأوقع دان فوريير في شباكي!».

سألها بيل بفضول: «ما الذي حثك على ذلك؟».

عدلت ثريا سرعة الآلة التي كانت تتمرن عليها لتتمكن من التحدث إليه على سجيتها.

صحيح أنها تعي تماماً ضرورة أن تبذل قصارى جهدها في التمرين، ولكن كان ينبغي عليها في تلك اللحظة أن تحدد أولوياتها . . . ومن البديهي أن ترجح كفة التاج بيل بدعم قرارها الجديد، على حساب القوام المشدود واللين، الذي وعدها به المدرب.

قالت له بنبرة حزينة: «قريباً أبلغ السابعة والعشرين من العمر . . . لم تعد تفصلني عن الثلاثين سوى سنوات ثلاث . . . فما الذي سيحل بي بعدها؟».

- تبلغين الواحدة والثلاثين من العمر . . . آسف!! لم تكن كلماتي هذه في محلها!

- أظنك فهمت مقصدي . . . فخريف العمر على الأبواب . وقد أجد نفسي بين ليلة وضحاها مرتدية قبعة من صوف وعاطلة بالفطط . . .

وأضافت متذمرة: «أريد أن أعيش حياتي قبل فوات الأوان . . . فالروتين يكاد يقضي عليّ . . . ألا ترى أنني نادراً ما أخرج أو أقابل شباناً ظرفاء؟».

- كفاك تذمراً . . . كم مرة حاولت ولوسي أن نعرفك على أشخاص مناسبين لك؟

- مثل من؟

- مثل دومينيك . . . صحيح أنه سمسار أراضي لكنه مهذب وميسور وأبدى إعجابه الشديد بك.

رمته ثريا بنظرة ساخرة وسألته: «كم سمسار للأراضي تجعل اسم

دومينيك حسب ظنك؟ لا أعتقد أن الذي تعرفت عليه يكترث لأمري!».

هز بيل رأسه وقال لها مؤكداً: «بل ولكنك لم تشجعيه البتة . . . فمشكلتك الأساسية هي أنك لا تحسنين قراءة الإشارات».

فأجابته بنفاد صبر: «سئمت سماعك ولوسي تردّدان الكلام عينه . . . في مطلق الأحوال، لم يكن من النوع الذي يروق لي . . . لذا قررت أن أقابل شخصاً أكثر إثارة من سمسار أراضي من شيفوال . . . أظن أن دان هو الشخص المناسب لي!».

بدا بيل متردداً وهو يسألها: «ألا تجدين أنه من الصعب عليكما أن تتفقا».

- أشكرك على ثقتك.

- أنسيت أنك أخبرتني بأن صورته ستظهر على غلاف مجلة «People».

وتابع كلامه قائلاً: «بدا لي غاية في الذكاء!».

- هل عكسي ألبس كذلك؟

أخذ بيل يتأمل صديقته التي تجهد نفسها على آلة الركض، وقد علا الاحمرار وجهها من شدة التعب، وراحت قطرات العرق تتصبب من جبينها الذي تغطيه خصلات شعرها . . . ثم قال لها بصوت حنون: «كم أكره أن أقول لك ذلك يا صديقتي، ولكنك لن تتمكني أبداً من مجاراته».

أطلقت ثريا تنهيدة يأس وقالت: «أعلم ذلك».

تسارع بيل إلى مواساتها قائلاً: «لا أقصد أنك لست جميلة . . أؤكد لك أنك ستبدين غاية في الجمال إن بذلت القليل من الجهد».

فأجابت محتجة: «ألا ترى أني أبذل جهداً؟ ألم أوافق على مرافقتك إلى النادي الرياضي؟».

ردّ عليها بفظاظة أثارت غيظها: «جلّ ما تسعين إليه هو تحسين مظهرك الخارجي من دون أن يخطر لك أن تزيلي ما خلفه الدهر من آثار على روحك . . . أنظري إلى نفسك . . . ألا ترين أنك بطيئة الحركة؟ إن كنت مصممة حقاً على تغيير نمط حياتك، فعليك أن تبدأي من اللحظة!».

زادت ثريا سرعة الآلة قليلاً، وهي تتأفف وتتذمر في سرّها... ولكن عيني بيل الزرقاوين لم تفارقاها إلى أن أذعنت مكرهة لإرادته وزادت سرعتها ثلاث مرات أكثر.

- المشكلة يا ثريا هي أنك طيبة جداً... فالكل يحبك ويدرك أن مظهرك الخارجي الذي يوحي بالقساوة، يخفي الكثير من الرقة والدفء... وخوفي الكبير هو أن تعاني بالأذى.

- لا سبيل لتفادي الأذى إلا أذا لازمت المنزل على غرار ما فعلت خلال السنوات الخمس الماضية.

ثم أضافت بنبرة حملت بين طياتها رغبة عميقة بالتمرد: «لقد ضقت ذرعاً من حبس نفسي داخل أربعة جدران! وبت على ثقة من أن الرجل المناسب لن يأتي من تلقاء نفسه ليدق على بابي، بل عليّ أن أذهب بنفسي للبحث عنه... أتعلم شيئاً؟ شاءت الأقدار أن يقصد دان مكتبي في اليوم الذي تلا اتخاذي هذا القرار».

كانت آلة الركض تئن تحت قدميها من شدة السرعة، فتمسكت جيداً خشية أن تجرها إلى الخلف وتقذفها بعيداً، لتقع تحت قدمي أحد المدربين الذين يذرعون الصالة ذهاباً وإياباً، متباهين بأجسامهم المتناسقة.

أخذت أنفاس ثريا تتسارع وهي تقول: «إنه غاية في الوسامة يا بيل! عيناه بنيتان صافيتان، وابتسامته جميلة تغرقك في بحر من الرقة والعفوية... وصوته عميق يتردد صداه من قمة رأسك إلى أخمص قدميك...».

فقال لها بيل وقد أخذت الغيرة منه مأخذاً: «يخيل إليّ أن صوته رائع فعلاً».

- هذا صحيح... لكنه ذكي وظريف أيضاً... وحياته مليئة بالإثارة... دان ليس من النوع الذي يركب يومياً القطار السريع متجهاً إلى عمله، بل ينتقل من ساحة معركة إلى أخرى، ليغطي الأحداث محاولاً أن يقي نفسه من الإصابة برصاصة عشوائية...

ثم تنهدت وهي تضيف: «يبدو لي أن سواه من الرجال مثيرون للملل».

- أشكرك.

- تعلم جيداً أنني لا أقصدك بكلامي.

حاولت ثريا أن تفلت يديها، لكنها أخذت تتمايل يميناً وشمالاً وهي على وشك أن تقع... فعادت وتمسكت وهي تقول: «تعجبني في دان كياسته... فحين يتصل بي ليتكلم مع أحد المحررين، يسألني أولاً عن أحوالي وأخباري... ما يجعله في نظري مختلفاً كل الاختلاف عن سواه من المحررين».

وعلى الرغم من أنها كانت تلهث تعبة والكلمات تخرج متقطعة من فمها، إلا أنها تابعت كلامها قائلة: «أسمعهم دوماً... يتأففون... من طلباتهم الكثيرة... ولكن دان يهتم بما... أقول له... هل يمكننا أن نتوقف الآن يا بيل؟».

ثم أسرعت تبرر قائلة: «لا يمكننا متابعة حديثنا هنا».

في الأوقات العادية، كان بيل يلح عليها لتنجز برنامجها كاملاً، فيراقبها عن كثب ولا يرفع نظره عنها ولو للحظة واحدة... لكنها كانت واثقة من أن فضول بيل سيحثه على مطالبتها بالإفصاح عن تفاصيل الخطة التي وضعتها لإغواء دان فوبر كاملة...

لم يخيّبها حدسها هذه المرة أيضاً... إذ لم تنقض عشرون دقيقة حتى كانا يجلسان في ركن هادئ، في مقهى النادي يحتسيان العصير المنعش.

سألها بيل وهو يضع كوب العصير أمامها: «ما رأي لومي؟».

- أعربت عن تأييدها للفكرة، ولكنها بدت قلقة حيال كنية دان... إذ لا يمكنني حسب اعتقادها أن أحمل اسم ثريا فوبر!

وتابعت تقول: «حاولت أن أقنعها بعدم أهمية ذلك لكنك تعرفها جيداً...».

- أظنها على صواب... فابتسم ثريا فوبر مضحك بعض الشيء...

حاولي أن ترددي على مسمعك... غريبة غريبة... فريا فريبر... أتريني! يخال المرء أنه يعاني من اللغة.

وضعت فريا كوبها على الطاولة بنفاد صبر وقالت: «اسمعني جيداً... أريد أن أذوق طعم الحب... حب يرميني في أحضان السعادة، فتتقاذفني الأحلام الوردية إلى شواطىء الروحانية، فتغمرني أمواجها بالدفء والحنان».

- لم أكن أحسبك من هذا النوع من الناس. لا بأس! ولكن ما السبيل ليتسلل هذا الهوى إلى قلبك والشخص المختار يقيم في «البلقان» في حين أنك مستقرة في لندن؟ لم لا تختارين شخصاً يقيم في الجوار؟

فأجابته بلهجة غريبة: «تحدثت معه اليوم مطولاً بينما كان مديري منشغلاً باجتماع رؤساء التحرير... أتعلم أنه يعمل لحساب محطة إخبارية أميركية، لم أعد أذكر اسمها؟».

نظر بيل إليها بارتباك وسألها: «حسبته يعمل لحسابكم؟».

- كلا، لكنه يكتب لصحيفتنا مقالات متفرقة... فالمحطات الأميركية تدفع لمراسليها رواتب ضخمة وغالباً ما تؤمن لهم طائرات خاصة لتنقلهم إلى أماكن الأحداث... وهذا ما لا تستطيع أن توفره لهم الصحف المحلية... في مطلق الأحوال، يستطيع دان أن يعد مقالة لصحيفتنا خلال وجوده هناك لأن صحيفتنا بريطانية وهو يعمل لحساب محطة اميركية... مما يعني أن مصالحهما لن تتضارب.

وتابعت كلامها عاجزة عن إخفاء لهفتها: «قال لي دان اليوم إنه يتوقع أن يحظى بترقية... صحيح أنه من فئة المراسلين الصحافيين الملقبين بالانطلاقيين، لأنهم يقصدون مكان الحدث ساعة وقوعه بغية تغطيته... ولكنه أكد لي أنه قد يشغل وظيفة دائمة في مقر المحطة في لندن... وحين علمت أن منزله يقع على بعد أميال قليلة من منزلي، رقص قلبي فرحاً».

اتسعت عينا بيل من الذهول ولم يستطع أن يتمالك نفسه من القول معترضاً: «يبدو لي المستقبل واعداً! فمن السهل أن تلتقي به صدفة في أحد

التاجر!».

- أصبت!

ارتشفت فريا القليل من العصير وتابعت تقول: «حين كنت أتحدث إليه أخبرني أنه سيعود إلى لندن نهار الخميس المقبل... فلم أستطع أن أمنع نفسي من إخباره بأن عيد ميلادي يصادف نهار الخميس».

- وهل سألك عن عمرك؟

- أظن أن دماثته لا تسمح له بذلك... ولكنه اكتفى بأن يسألني عما سأفعله لأحتفل بعيد ميلادي مؤكداً لي بأنه يتخيلني من النوع الذي يحب الاحتفالات الصاخبة.

أطلق بيل ضحكة رنانة وهو يسألها: «ألم تخبريه بأننا سنتناول العشاء في مقهى صغير يقدم أطباقاً هندية؟».

- كلا لم أفعل... ولكنني قلت له إني سأقيم حفل عشاء بصحبة الأصدقاء خلال عطلة نهاية الأسبوع... سألته إن كان يرغب بالحضور، فأجابني بأن ذلك من دواعي سروره».

- ماذا؟

- أليس الأمر رائعاً؟

وأضاءت ابتسامة مشرقة وجهها وهي تضيف: «قلت له إنني دعوت عدداً من موظفي الصحيفة».

- فريا!

- لم يكن أمامي خيار آخر، لم أشأ أن يظن أنني لا أكترث للأمر أحد سواه ليرفض المجيء».

- وبما أنه وافق على المجيء، عليك أن تقيمي حفل عشاء لحشد من الأشخاص لا تربطك بهم أي صلة!

فأجابته محتجة: «ولكنني أعمل معهم وأعرفهم جيداً... خطر لي أن أدعو الجميع من دون استثناء وأظن أن الفكرة ستلقى استحساناً لديهم».

حاول بيل أن يظهر لها قلقه فقال: «هل يمكنك أن تتحملي نفقات هذا

الحفل؟ فديونك كثيرة إلى حد أنك تخلفت عن تسديد إيجار شقتك وطردت منها. . . وظيفتك التافهة تلك محدودة الآفاق، ولن تحققي فيها أي تقدم. ألا ترين أن المحيطين بك بلغوا جميعاً مرادهم سواء على الصعيد المهني أو الاجتماعي، في حين أنك رضيت براتب زهيد لا يكفي لتسديد حاجاتك الضرورية ومن دون أن تفكري مطلقاً بالمستقبل؟».

تنهدت فريا وقالت متذمرة: «بصراحة يا بيل، كلامك أسوأ من كلام والدي!».

فأجابها بيل بتجهم: «والدك رجل عاقل يا فريا. . . أتدركين كم سيكلفك حفل العشاء لا سيما إن أردته صاخباً؟».

ـ أعرف ذلك، وأحتاج إلى مساعدتك!

ثم أضافت بتملق: «فكر في الأمر يا بيل! إنها الفرصة المناسبة لأخرج من إطار عاملة الهاتف البسيطة وأظهر في أحسن صورة. . . ما رأيك لو عقصت شعري وارتديت فستاناً أسود قصيراً، وأحطت نفسي بأصدقاء متأنقين؟».

ضاقت عيناها الخضراوان وهي تتخيل المشهد أمامها.

ـ سأبذل جهدي لأبدو ساحرة ومتألقة، وجعبتي مليئة بالنكات المضحكة. . . أم لعلك تفضل أن أحافظ على رزانتي وأحيط نفسي بهالة من الغموض؟. . . ولكنني لا أريده أن ينفر مني.

ـ بصراحة يا صديقتي، لا يمكنني أن أتخيلك متعالية وغامضة!

كانت فريا تدرك أن بيل عاجز عن مقاومة رغبته في الاستسلام لأحلام اليقظة التي أخذت تراودها على الرغم من معارضته الشديدة لها.

فتنهدت وأومأت برأسها موافقة. . . صحيح أنها تواقة للظهور أمام الناس بمظهر المرأة المثيرة التي يلفها الغموض. . ولكنها تعي استحالة ذلك، لا سيما وأن عينيها الخضراوين الآسرتين تفضحان براءتها وعفويتها، وشعرها المشعث ينم عن بساطتها.

ـ عليّ أن أزرع البهجة في الحفل. . .

أخذت جرعة من عصيرها وقد استغرقت في أفكارها ثم تابعت: «نعم. من الأفضل أن أوفر له جواً من المرح أظنه يفتقد إليه».

وبعد أن دبت الحماسة فيها استطردت قائلة: «عند وصوله، سيراني ساحرة في ردائي الأسود القصير، ألهو مع أصدقائي الظرفاء. . . ألا تعتقد أن ذلك سيجعله ينظر إليّ بطريقة مختلفة؟».

ـ أكره أن أوقظك من أحلامك، ولكن أين ستجدين أصدقاء ظرفاء خلال هذه الفترة الوجيزة؟

ـ عليّ الإدعاء فحسب. . . فالمسألة تقتصر على الجلوس إلى المائدة وارتداء ثياب رسمية و فساتين سوداء طويلة، وتبادل الأحاديث المختلفة. . . أظن أن الأمر سيكون ممتعاً!

www.liilas.com

ثم أمسكت يده برقة بالغة وقالت:

ـ ولكنني لا أستطيع المضي قدماً من دونك. . . ستساعدني، أليس كذلك؟

حاول بيل أن يتمسك بموقفه المعارض لأفكارها المتهورة، إلا أنه ما لبث أن رضخ لسحر ابتسامتها البريئة وقال لها: «ما الذي تريدين مني أن أفعله؟».

ـ هل يمكنك أن تساعدني في اختيار المأكولات؟

ـ حسناً.

تنهد بيل تنهيدة استسلام، محاولاً أن يخفي استحسانه لهذه المواقف التي توفر له متعة بالغة، وقال: «ستتاح لي الفرصة على الأقل لمقابلة دان فرير الشهير. . . علينا أن نؤمن كؤوساً وصحوناً جديدة ونعد لائحة بالمقبلات. . .».

أخذت فريا قلماً من حقيبتها ودونت على ظهر مغلف صغير «كؤوس وصحون ومقبلات».

ـ ماذا بعد؟

ـ أين ستقيمين حفل العشاء؟ هل منزلك الجديد يتسع لهذا العدد من

الأشخاص ؟

- تماماً . . . إنه عبارة عن علية في مستودع تم تحويله إلى منزل، وهو شاسع وأرضيته مصقولة . . . صحيح أن ذلك لا يتناسب تماماً مع ذوقي، ولكن المكان يطل على منظر رائع للمدينة.

- يبدو لي رائعاً . . . ولكن كيف تدبرت أمر الإيجار؟

- من قال إني أدفع إيجاراً؟ إنني أتولى الاعتناء بالمنزل أثناء غياب صاحبه.

رفع بيل حاجبيه متسائلاً: «حقاً؟»

- الفضل يعود للوسي لأن المنزل ملك شقيقها.

- جو؟ حسبته لا يزال طالباً؟

- ليس جو بل ماكس.

ظنت قربا أن نبرة صوتها بدت طبيعية جداً، إلا أن عينيه ومضتا ببريق غريب، وعلت الدهشة وجهه، وهو يطلق «آهة» حملت في ثناياها آلاف الكلمات التي تعبر عن إصراره على معرفة كل تفصيل مهما كان تافهاً، قبل أن ينتقل إلى موضوع آخر.

حملت قربا كوب العصير بثبات، رافضة أن تسمح للمشاعر التي اختلجت في صدرها بتقويض سيطرتها على أعصابها وقالت: «ماكس مهندس مدني يقضي معظم أوقاته ما بين أفريقيا ودول أخرى، يشيد فيها طرقات وأنظمة للري».

هزّ بيل كتفيه بلا مبالاة وكأنه لا يرغب بسماع المزيد إلا أنها تابعت تقول:

- حين واجهت مشاكل مع صاحب المنزل الذي كنت أقيم فيه، علمت لوسي بأن ماكس مسافر إلى أفريقيا . . . فاقترحت عليه أن أتولى الاعتناء بالمنزل خلال غيابه.

بدا كلامها منطقياً للغاية . . . ولكنها لم تستطع أن تجد في أعماقها سبباً وجيهاً للموقف الدفاعي الذي تتخذه أو الخجل الذي يعتريها كلما ذكر اسم

ماكس.

- كم سيطول غيابه؟

- أربعة أشهر على الأقل . . .

وسارعت تكمل كلامها قبل أن يسترسل بيل في عظاته حول مساوىء الحلول القصيرة الأجل: «لم أجد أمامي حلاً آخر، لا سيما وأن المنزل لا يبعد سوى خمس دقائق عن المكتب، وأستطيع خلال غياب ماكس أن أبحث عن شقة مناسبة لي . . .».

ثم أضافت في محاولة منها لتحويل انتباه بيل عن موضوع ماكس: «أترى؟ لا أظن أنني تسرعت حين دعوت دان على العشاء . . . فالمكان ملائم لإقامة الحفل، ولم يعد أمامي سوى أن أنفق المال الذي يجدر بي ادخاره لدفع تكاليف السفر».

غير أن خطتها لم تنجح ولم يقع بيل في مصيدة توبيخها على سوء تدبيرها المالي، إذ ما لبث أن قال لها: «غاب شقيق لوسي الثاني عن بالي كلياً . . . لا أذكر أنني قابلته . . . هل حضر حفل زفافها؟».

- أظن ذلك.

وكيف لها أن تنسى تلك الحفلة وقد قضت فيها وقتها كله تحاول سدىً أن تتفاداه في حين أنها كانت اشبينة العروس أيّ شقيقته؟

حاول بيل أن يستعيد في رأسه صورة ماكس، ولكن من دون جدوى، فقال لها: «صفيه لي».

وضعت قربا كوب العصير على شفتيها لتخفي ارتجافها وقد استحوذت صورة ماكس على ذهنها بوجهه الهادىء وفمه القاسي، وعينيه الرماديتين الساحرتين.

فقالت له وقد أذهلتها نبرة اللامبالاة في صوتها: «إنه رجل عادي بعض الشيء . . . يكره الحفلات وصخبها . . . إنه من النوع الذي لا يشعر بالرضى إلا عند انشائه طريقاً جديدة في إحدى الدول النامية».

استرخى بيل في مقعده، وارتسمت على فمه ابتسامة ساخرة وقال:

«حقاً؟».

ـ ما الذي تريد قوله؟

ـ كنت معلقة بماكس. أليس كذلك؟

ـ ما الذي جعلك تعتقد ذلك؟

ـ حدسي... كما أن تعابير وجهك تبدو غريبة جداً حين تتحدثين عنه.

وضعت فريا يديها على خديها بحركة لا إرادية وقالت محتجة: «هذا غير صحيح».

ضاقت عينا بيل وهو يتأمل قعر كوبه متفادياً النظر إليها، ثم قال: «يخيل إلي أنك جعلت من نفسك سخرية أمام ماكس هذا».

أخذت نيران الغضب تستعر في داخلها، ساخطة على الذكاء المتقد التي يتحلى به في بعض الأحيان.

فقالت له بنبرة قاسية: «لا أجدك مضحكاً أبداً».

ـ كان ظني في محله. أليس كذلك؟

ثم مال نحوها متودداً وأضاف: «هيا أخبريني».

ترددت فريا في بادىء الأمر، وأخذت تعبث بكوب العصير بعصبية واضحة... ولكن بيل لن يتركها وشأنها وقد شاهد دخان سر دفين يتصاعد في الهواء... قالت له بعد طول انتظار: «اعدني ألا تخبر أحداً».

ـ أعدك.

ـ حدث ذلك خلال حفلة عيد ميلاد لوسي الواحد والعشرين... كانت الحفلة رائعة للغاية... ولكنني كنت في حالة يرثى لها لأنني تشاجرت بعد ظهر ذلك اليوم مع صديقي، وادعيت أمام لوسي أن أمراً طارئاً منعه من الحضور حتى لا أفسد عليها فرحتها...

أجفلت فريا وهي تستعيد في ذهنها أحداث تلك الليلة، فارتشفت القليل من عصيرها وتابعت تقول: «حاولت ليلتها أن أتظاهر بالاستمتاع بالحفلة في حين كنت أحترق شوقاً لأعود إلى المنزل وأطلق العنان لدموع

ساعدت كثيراً عليها... فقد خيل إلي يومها بأن ألن هو حبيب حياتي ولن أذوق من دونه حلاوة العيش».

ـ حدثيني عن دور ماكس الغامض في هذه القصة.

ـ لم أكن قد قابلت ماكس منذ بضع سنوات ووجدت فيه شيئاً مختلفاً...

توقفت فريا عن الكلام وهي تعود بالذكرى إلى سنوات خلت... فقد بدا لها ماكس يومها أطول قامة وأكثر جسامة، وكأن سنه يتعدى السابعة والعشرين بكثير... فبعد أن أمضى سنتين تحت أشعة شمس أفريقيا الحارة، اكتسبت قسمات وجهه سمرة انعكست على عينيه الرماديتين البراقتين... وكيف لها أن تنسى كيف راح قلبها يتراقص بين ضلوعها حين رأته يدخل إلى الصالة؟

ـ لم يكن يشعر بالراحة لأنه لا يحب الحفلات... أذكر أنه راح يرمقني بين الفينة والأخرى بنظرات ثاقبة لم تخف غضبه واستياءه... ولكنه لم ينبس ببنت شفة إلى أن بلغ مني التعب مبلغاً... فدنا عندئذ مني وطلب مني أن أتوقف حالاً عن الرقص ليصطحبني إلى المنزل.

ـ أرى أنه من النوع المتسلط.

ـ نوعاً ما... حاولت أن أفهمه بأنني لا أرغب بالانصراف. غير أنه لم يعر كلامي اهتماماً، ووجدت نفسي بعد مرور لحظات قصيرة جالسة في المقعد الأمامي في سيارته.

ـ هل حاول أن يغويك؟

ـ لا بل أسوأ من ذلك!

اتسعت عينا بيل دهشة وهو يسألها: «ربّاه! ما الذي فعله؟».

التهب وجه فريا خجلاً وهي تضيف: «حاولت التقرب منه».

ـ وما الذي حصل؟

ـ لا شيء! صدني بحزم.

ارتسمت على وجه بيل علامات خيبة الأمل إذ توقع أن تخبره شيئاً أكثر

إثارة.

- أهذا كل شيء؟

- كلا، أجهشت بالبكاء من دون خجل.

أخذت ثريا جرعة من العصير وهي تحاول أن تخفي الإحساس بالمهانة الذي تملكها...

- أخبرته عن ألن، ومدى حبي له، والفراغ الذي خلّفه في حياتي، فوجد كلامي مثيراً للشفقة!

- وما كانت ردة فعله؟

- تركني أستسلم للبكاء طوال الطريق...

ولم تغب عن ذهن ثريا صورة ماكس وهو واقف أمام باب منزلها يحمل مفاتيحها بيده.

- عند وصولنا، أرغمني على شرب كوب كبير من الماء لأستعيد توازني، ثم جلس بقربي على الكنبة وراح يحدثني عن الحياة في إفريقيا.

ثم تابعت كلامها وقد بدا عليها السرور للحظة: «أذكر أنه أخبرني عن فندق يقع على شواطئ المحيط الهندي، وعن أشجار النخيل... فشعرت يومها بسحر المكان يستحوذ عليّ، وكأنه أشبه بحلم جميل... أظن أنها الطريقة الوحيدة لأبرر لك ما حصل.

- ما الذي حصل؟

- إن الأمر معقد بعض الشيء... ولكن فيما كان ماكس مسترسلاً في حديثه وجدته جذاباً للغاية... وشعرت بجاذبية لا تقاوم نحوه، إلى حد أن صورة ألن أخذت تتلاشى من رأسي... صحيح أنني لم أشعر يوماً بأي شيء تجاه ماكس، ولكنني أحسست في تلك اللحظة وكأنه تغلغل في أعماقي، فوجدت نفسي مفتونة به!

ارتبكت خجلاً وهي تتذكر أنها حاولت التقرب منه، وراحت تهمس في أذنه كلمات معسولة جعلته يسرع إلى ضمها بين ذراعيه ومعانقتها.

ثم أسرعت تقول في محاولة منها لإيجاد الأعذار لنفسها: «لا أظن أنني كنت في كامل وعيي».

حاول بيل أن يعزيها وقد رأى وجنتيها الملتهبتين خجلاً فقال: «كل واحد منا يمر بلحظات محرجة كهذه... ولكن لا أظنك...».

وتوقف فجأة عن الكلام وقد أذهلته التعابير التي ارتسمت على وجه ثريا.

- هل حاولت أن تتمادي أكثر؟

أومأت ثريا بالإيجاب.

- وماذا حصل؟

- لا شيء... أسرع ماكس بالرحيل مدعياً أن ما حصل بيننا مجرد غلطة ينبغي على كلينا نسيانها...

وتابعت كلامها وكأنها تحاول إقناع نفسها قبل إقناع بيل: «وجدت في كلماته تلك راحة لي. إذ جلّ ما كان يقلقني هو أنني لن أتمكن من مواجهته أبداً... فهو شقيق أعز صديقة لي وعلاقتنا محرمة نوعاً ما، في نظري».

- هراء.

- هذا ما شعرت به يومها... لأن ماكس لم يكن بطل أحلامي في سن المراهقة... صحيح أنه بهي الطلعة، ولكنني لا أجد فيه شيئاً مميزاً. لا سيما وأنه جدي جداً ولا يحب اللهو مثلنا، وغالباً ما كان يوجه إليّ وإلى لوسي ملاحظات لاذعة تثير حفيظتنا.

أخذت ثريا تحدق إلى كأسها وهي تفكر في ماكس وقدرته التي لا مثيل لها على جعلها تشعر وكأنها مجرد فتاة خرقاء.

ثم استطردت قائلة: «في مطلق الأحوال، كنت سعيدة جداً بأن أمحو ذكرى تلك الليلة من ذهني نهائياً... وماكس كذلك!».

- حقاً؟

- لم تسبب لي تلك الحادثة إلا الإحراج وأفضل نسيانها كلياً... فقد مضت ست سنوات على تلك الليلة، ولم نتبادل خلالها، ماكس وأنا، كلمة واحدة. وحين قابلته في حفل زفاف لوسي العام الماضي، ادعى أنه لم يرني منذ

كنت ولوسي على مقاعد الدراسة.

لم تستطع اخفاء نبرة الحزن التي رنت في صوتها... لاشك أنها ستشعر بارتياح كبير إن تأكدت من أن ماكس محا ذكرى تلك الليلة المهينة من رأسه. ولكنها لم تستطع التخلص من الإحساس بخيبة الأمل الذي تملكها، لفكرة نسيانه لها بهذه السهولة...

ـ أظنه نسي أمري.

ـ ولكنك لم تنسيه بعد.

ـ لأنني أسكن في شقة مليئة بأشيائه..

ـ أرى أن الأمر مزعج بعض الشيء.

ـ طبعاً ولكنني لم أجد أمامي حلاً آخر.. فكيف لي أن أدفع إيجار شقة وأؤمن حاجاتي الضرورية، وراتبي يكاد لا يكفيني لشراء ما يلزمني من طعام؟... علاوة على ذلك لم أجد نفسي مرغمة على مقابلة ماكس من جديد لأنه سافر قبل أسبوع من انتقالي إلى شقته... وفضّلت ألاّ أبوح للوسي بانزعاجي الشديد لقبولي مرغمة بهذه الخدمة من ماكس.

رمت فريا بيل بنظرة غاضبة وهي تحذره قائلة:

ـ لم أخبر أحداً سواك بما حصل... فإن خطر لك أن تفتح فمك، حتى أمام ماركو، لن أتوانى أبداً عن خنقك... مفهوم؟

ـ طبعاً لا تقلقي، فسرك في بئر عميق.

ـ أرجو ذلك... والآن هلا عدنا للحديث عن حفلتي؟ فماكس بات من الماضي، ودان فرير هو المستقبل الواعد... ما رأيك لو نعد لائحة بأسماء المدعوين؟

* * *

٢ ـ كابوس مزعج

منتديات ليلاس
كوكل الحلوة

حملت فريا كأس العصير وراحت تتنقل في أرجاء الغرفة وابتسامة عريضة تعلو ثغرها بينما لا يشغل بالها سوى دان فرير، وقد أدركت في قرارة نفسها أن إغواءه ليس بالمهمة السهلة. كما ادعت متفاخرة أمام بيل.

والحق يقال إنها بذلت كلّ ما بوسعها لتحقيق مرادها، إذ قصت شعرها وصبغته بلون أشقر فاتح، لون يذهلها كلما رأت انعكاسه في المرآة. واشترت نزولاً عند إصرار لوسي، فستاناً جديداً.

لا شك أن الجهد الذي تكبدته للتحضير لهذه الحفلة لم يذهب سدىً والضحكات الرنانة التي كان صداها يتردد في أرجاء الغرفة هي خير دليل على ذلك... ولكن الفرصة لم تسنح لها بعد للتحدث إلى دان...

خيل إليها أنه سيحترق لهفة للتودد إليها، فينتظر انصراف المدعوين ليصطحبها في نزهة يتحدثان خلالها معاً و... غير أنها لم تطلق العنان لمخيلتها أكثر من هذا الحد، تاركة لدان حرية اختيار خطواته التالية.

ولعل أكثر ما أثار قلقها هو أن تصرفاته لا تدل أبداً على أنه يكترث لأمرها... إذ لم تتوقع أن تلاحقه زميلاتها في الصحيفة من مكان إلى آخر، وهن متلهفات لسماع كلامه، فتضحكن ملء ثغورهن كلما فتح دان فمه.

شعرت فريا وكأنها على حافة الانهيار فارتشفت القليل من عصيرها ونظرت بطرف عينها إلى لوسي الواقفة إلى جانبها وسألتها: «ما رأيك؟».

فأجابتها لوسي بصراحة مطلقة: «إنه رائع».

وأخذتا تتفرسان فيه بإمعان. فعلى خلاف الرجال الآخرين لم يرتدِ دان

بدلة رسمية بل فضل ارتداء سترة جلدية باهظة الثمن، تنم عن ذوق رفيع . . . ولا يمكن لأحد أن ينكر مدى وسامته وهو يجلس على الكنبة، محاطاً بسرب من الجميلات اللواتي لا يرفعن نظرهن عنه ولو للحظة واحدة، وقد أضاءت وجهه ابتسامة مشرقة ساحرة .

تابعت لوسي كلامها تقول: «إنه الرجل المناسب لك ولن تجدي شخصاً أفضل منه» .

- أتجدينه وسيماً؟

- هل أنت حمقاء؟ كلامك لا يفيه حقه لأنه فاتن للغاية .

وسكبت المزيد من العصير في كوبها واستطردت قائلة: «صحيح أنك صعبة الإرضاء ولكن ذوقك رفيع» .

- يسرني أنه أعجبك .

- طبعاً! إياك أن تدعيه يفلت منك! بالمناسبة، ما الذي تفعلينه إلى جانبي؟ هيا انهضي وتخلصي من التطفلات .

- أتعتقدين أنني قادرة على ذلك؟

نظرت فريا إلى دان بتردد . . . أيعقل أن يلتفت رجل جذاب مثله إليها؟ فلا شك أن أجمل نساء العالم يرتمين بين أحضانه . . . فكيف لها أن تنافسهن؟

- طبعاً! انظري إلى نفسك! تبدين غاية في الجمال في هذا الثوب، وهذين الكعبين اللذين سيثيران حتماً جنونه! فضلاً عن أن خفة دمك وشخصيتك اللطيفة ستوقعانه في شباكك لا محالة!

- سأصلح أولاً ماكياجي .

فضلت فريا ألا تفصح للوسي عن مدى اضطرابها، خاصة وأنها ما انفكت تتفاخر أمامها بعزمها على تغيير نمط حياتها .

فأجابت لوسي فيما كانت فريا تشق طريقها هرباً إلى الحمام: «ما من داعٍ لذلك» .

كم تمنت لو أنها تتمتع بشخصية قوية مثل بيل ولوسي، لتتمكن من بلوغ مرادها من دون جهد! ألم يكن بيل على صواب حين لمح إلى أن أحداً

منهما لم يعرف الفشل في علاقاته، في حين أن كل شخص أعجبت به فريا انتهى به المطاف إلى إحدى صديقاتها؟

لقد ضاقت ذرعاً بإتهامهما المستمر لها بالاستسلام للفشل، وعدم السعي جاهدة للحصول على ما تتمناه، ولن ترجع أبداً عن عزمها على انتشال حياتها من الملل الذي غرقت فيه .

ففي هذه اللحظة بالذات، يجلس رجل ساحر على كنبتها، في الغرفة المجاورة، وعليها أن تذهب إليه، وتتودد إليه . . .

لا شك أن الوصول إلى دان قرير صعب، إلا أنه الرجل الوحيد الذي أضرم فيها نيران أحاسيس خالتها انطفأت منذ زمن بعيد .

تأملت فريا فستانها الأحمر القصير الذي يبرز جمال ساقيها النحيلتين وقالت لنفسها مشجعة: «تبدين مثيرة للغاية، فكفاك تردداً واذهبي إليه» .

علا الضجيج مع وصول المزيد من المدعوين، ودبت الفوضى في المكان . . . ولم تعد الفرصة سانحة أمامها للتأثير في دان بتصرفاتها اللبقة . . .

وفيما كانت تبحث عن بيل تسأله عن ساعة انصراف الضيوف، لاحظت أن لوسي ترمقها بنظرات غاضبة وهي تومىء برأسها نحو دان متمتمة: «اذهبي إليه» .

لم تجد فريا سبيلاً للفرار فارتشفت عصيرها حتى القطرة الأخيرة، وتوجهت نحوه بخطوات ثابتة، كأنها في مهمة رسمية .

رباه! كم يبدو وسيماً بعينيه البنيتين المتألقتين وفمه المشع سحراً وجسده الذي ينبض رجولة! ترنحت فريا وقد أدركت في قرارة نفسها مدى غبائها . . . فكيف خطر لها أنها قادرة على لفت انتباه رجل مثل دان؟

وإذ همت بالعودة من حيث أتت لوّح لها دان بيده مبتسماً وقال: «مرحباً . . . أهنئك على هذه الحفلة الجميلة» .

ثم تنحى قليلاً ليفسح لها المجال لتجلس بقربه على الكنبة .

أيدت الفتيات المتجمهرات كلامه فقلن بصوت واحد: «نعم إنها رائعة جداً» .

فردت عليهن بتهذيب بالغ: «شكراً! يسرني أنكن تستمتعن بوقتكن».
قال لها دان وهو يتأمل ساقيها بوقاحة: «لم أعرفك للوهلة الأولى».
- حقاً؟
- كنت أحترق شوقاً لرؤيتك، ولكنني لم أكن أعلم ما الذي ينتظرني.
ثم أضاف وقد فضحت أساريره إعجابه الجلي بها: «ساقاك رائعتان».
- شكراً لك.
رفعت فريا رأسها قليلاً فتشابكت نظراتهما وبدا لها وكأن العالم توقف من حولها عن الدوران... واستطرد دان قائلاً:
- كنت أخالك مثال الفتاة العاقلة ولكنني أرى أمامي عفريتة صغيرة.
وقعت فريا في حيرة من أمرها... فكيف ترد على تعليقاته هذه؟ هل تنفجر ضاحكة أم تعبر عن سخطها، أم تكتفي برسم ابتسامة متكلفة على شفتيها؟
ولعل أكثر ما أثار دهشتها هو انسحاب الجميلات وكأنهن يخفضن مكرهات لأمر بالانسحاب لم يتكبد دان عناء التلفظ به.
فضلت فريا ألا يبدو الأمر وكأنها تحتفظ به لنفسها، فهبت واقفة ولكنه أمسك بيدها قائلاً: «لا تذهبي... لم تسنح لنا الفرصة للتحدث معاً بعد».
ابتلعت فريا ريقها بصعوبة وحاولت إخفاء القشعريرة التي سرت في جسمها عند ملامسة يدها... وأخذت تتساءل في سرها عما يجدر بها أن تفعله وهو يضغط على يدها بقوة... هل تشد على يده بدورها أم تدعي اللامبالاة فيخال أنها لا تكترث لأمره البتة؟
وكم سرها أن ينتشلها سؤاله المفاجىء من حيرتها: «أتريدين الرقص؟».
- نعم.
لم تستطع فريا أن تحدد مشاعرها حين تجاهل دان الموسيقى الصاخبة وأخذها بين ذراعيه بنعومة وهو يقول: «أظن أنني محظوظ اليوم».
- أتعتقد ذلك حقاً؟

بذلت فريا جهداً بالغاً للرد عليه وقد شعرت برعشة تسري على طول عمودها الفقري.
- نعم، لأنني حظيت في يوم واحد، بوظيفة جديدة وفريا جديدة.
- وظيفة جديدة.
- تم اختياري للعمل كمراسل صحفي في افريقيا.
- افريقيا؟ حسبتك ستنتقل للعمل في لندن.
- هذا صحيح... ولكن هذه الوظيفة الجديدة لم تكن في الحسبان... لطالما أردت أن أعمل كمراسل أجنبي. وها أن الفرصة ستسنح لي لتغطية الأحداث الجارية في افريقيا.
- مذهل... أين ستقيم؟
- في اوزوتو، عاصمة مياتزير.
وتذكرت فجأة أن هذا الاسم ليس بغريب عنها... فماكس أقام في اوزوتو، وأخبرها عن حصونها العربية وأسواقها التي تعبق برائحة كبش القرنفل وجوز الهند.
قالت له: «أعرف تلك المدينة».
- طبعاً لأنك تعملين في صحيفة أجنبية... غالباً ما يشهد هذا الجزء من الكرة الأرضية تقلبات عنيفة، تجعل منه محوراً هاماً للمقالات الصحفية المميزة.
- حسناً.
أجابته فريا باقتضاب وهي تشعر بالأسى على سكان مياتزير الذين يقدمون لأمثال دان سبقاً صحفياً.
تجاهل دان استياءها واستطرد في حديثه عن الوضع والصعوبات التي يواجهها الصحافيون. حديث لم تعره اهتمامها، لأن أمثال دان يحبون الادعاء أمام الناس بأن مهامهم أكثر خطورة مما هي عليه في الواقع.
ولكنها ما لبثت أن شعرت بأن عليها مشاركته الحديث، فقالت له محاولة اخفاء عدم اهتمامها: «تبدو في متحمساً للسفر إلى افريقيا».

لو علمت مسبقاً بسفره لما تكبدت عناء تنظيم هذه الحفلة وصرف أموالها عليها . . .

تنهدت فريا وقد بلغ منها الاحباط مبلغاً لأن السعادة التي لمحت للحظات طيفها، أخذت تلوح لها من بعيد لتغيب في الأفق.

قال لها دان وأنفاسه الحارة تلهب عنقها: «الغريب أنني لم أعد أشعر برغبة في السفر».

ـ متى ترحل؟

ـ في غضون شهر . . . ولكن من يدري ما قد يحصل خلال هذا الشهر؟

هذا صحيح . . . عليها أن تمضي بخطتها حتى النهاية، فدان بقربها، يضمها بين ذراعيه، ويهمس في أذنها كلمات معسولة. ما الذي ينقصها بعد؟

ابتسمت له ابتسامة مغرية قائلة:

ـ معك حق . . . لا سيما إن كنت ترغب بذلك.

ـ هذا ما أرغب فيه فعلاً . . . فمفاجأتك لي هذا المساء أذهلتني حقاً!

ـ أرجو أن تكون مفاجأة سارة!

ـ طبعاً . . . في الواقع كنت أفكر بإجراء تحريات سرية للكشف عن هوية فريا كينغ الحقيقة!

رباه! دان فرير يغازل فريا كينغ! أتراها تحلم؟

شعرت بيده تشدها نحوه وفاحت رائحة عطر ما بعد الحلاقة في أنفها فيما تردد صدى صوته الحنون في أذنيها مشعلاً نار الشوق في أعماقها.

قال لها هامساً: «تعالي لنذهب إلى مكان أكثر هدوءاً».

حاولت فريا أن تتمالك نفسها، فها هي تقف على عتبة علاقة جديدة مع رجل تتهافت عليه نساء العالم أجمع.

ولكن ما الذي دهاها لتسترسل في أحلام اليقظة ويد دان تضغط بإلحاح عليها.

قالت له متظاهرة بالاحتشام، وهي تتمنى في قرارة نفسها لو تستطيع التخلص من إحساس سيطر عليها بأنها تؤدي دوراً . . .

ـ ولكني صاحبة الدعوى ولا يمكنني أن أترك ضيوفي وأتسلل خلسة إلى الخارج.

ـ أرجو أن ينصرفوا جميعهم باكراً.

لكن من تراه يفكر بالانصراف والحفلة في أوجها؟

وإذ هم دان بمعانقتها، شعرت بأحدهم يشدها من كم فستانها.

ـ فريا!

ـ لاحقاً يا لوسي.

ـ الأمر هام!

لم تخفِ فريا انزعاجها وهي تبتعد مكرهة عن دان، الذي رمى لوسي بنظرات سخط لمقاطعتها: «هل مات أحدهم؟ ما الأمر؟».

ـ عليك أن تطلبي من الجميع الانصراف حالاً.

وارتسمت على وجهها علامات الاضطراب وهي تنظر مكشرة نحو الباب. لاحقت فريا نظراتها لتشاهد عند الباب رجلاً يرتدي سروالاً كاكي اللون، وقميصاً مجعداً، ويحمل حقيبة بالية، وقد بدا التعب جلياً على قسمات وجهه القاسية.

سرت قشعريرة في جسمها وقد اخترقت عيناه الثاقبتان حواجزها كلها، فانفرت مذعورة وهي تقول بصوت عميق: «ماكس!».

* * *

وقفت فريا عند عتبة باب المطبخ تنظر بعينين نصف مغمضتين إلى الرجل الواقف قرب ابريق الشاي، ثم قالت له بصوت خفيض ينذر بالشر: «أهذا أنت؟ حسبت أنه مجرد كابوس مزعج».

ـ صباح الخير يا فريا، يسرني أن أراك أيضاً.

لمست طريقها نحو الطاولة، وارتمت في إحدى الكراسي وهي تقول:

ـ أشعر وكأنني على حافة الموت.

ـ خذي.

ووضع على الطاولة قربها كوباً من الماء وحبتي دواء لألم الرأس، ثم

منتديات ليلاس
كوكا الحلوه

أضاف قائلاً: «سأعد لك فنجان شاي».

تطلبت جبينها وهي تبتلع حبتي الدواء، ثم وضعت رأسها بين يديها، وقد أنهكها التعب فتناثر شعرها الأشقر على الطاولة.

قال لها ماكس، وقد اتكأ إلى طاولة المطبخ وراح يرميها بنظرات استهجان: «أرى أنك لم تتعلمي بعد ألا تطيلي السهر».

فبعد حفلة عيد ميلاد لوسي، حرصت على ألا تسهر حتى ساعات متأخرة، أو تتمادى في الرقص، غير أنها لم تكن مهيأة في تلك اللحظة لمناقشة المسألة معه، وفضّلت الاكتفاء بالقول: «كنت متوترة بعض الشيء ليلة البارحة».

ـ وما سبب توترك؟

ـ لا شيء مهم.

أجفلت قربا عند سماعها صفير الابريق فرفعت رأسها قليلاً، وتابعت تقول: «أكثر ما أثار توتري، هو حضورك المفاجىء من دون أي سابق إنذار! لماذا لم تعلمني بعودتك؟».

ـ لم تسنح لي الفرصة لأتصل بك قبل مغادرة المنزل، لأنني كنت على عجلة من أمري... ولكن عند وصولي إلى هيثرو، اتصلت بالمنزل ولم يجب أحد.. فلم يخطر في بالي أنك لم تسمعي رنين الهاتف بسبب الضجيج...

وأضاف يقول بصوت خشن: «كنت منهك القوى، وأحتاج إلى بضع ساعات من النوم العميق... ففكرت في أن أترك لك رسالة صغيرة أعلمك فيها بوصولي... ولكنني صعقت حين وصلت إلى الشقة لأجدها تعج بالغرباء».

ـ لا أذكر الكثير عن ليلة البارحة... أقصد أنني أذكر لحظة وصولك...

وأخذ قلبها يتخبط بين ضلوعها وهي تتذكر لحظة وقوع عينيها عليه...

ـ كانت لوسي تتذمر... ماذا عن سريرك؟ هل رتبته لك؟

ـ حاولت ذلك ولم تفلحي... وعلى الرغم من أنني أكدت لك أنني قادر تماماً على الاعتناء بنفسي، أصريت على لعب دور الضيفة اللبقة للتعويض عن الرعب الذي اعتراك عند رؤيتي...

ـ رباه! آسفة...

لم يحاول ماكس أن يحرك ساكناً ولكنها لمحت ومضة السخرية في عينيه الرماديتين.

ـ خطر لي في لحظة من اللحظات أنك ستضعينني في الفراش وتغطينني.

بدأت الأحداث تعود تدريجياً إلى ذهنها... فتذكرت كم شعرت بالاحراج من تصرفاتها الخرقاء... لقد مضى زمن طويل على تلك الليلة المشؤومة، لم تقابل خلاله ماكس إلا نادراً... وها هو يعود اليوم على حين غرة، ليجد شقته مقلوبة رأساً على عقب. ولا مكان ينام فيه إلا غرفة الضيوف، التي كانت تستعملها كخزانة للملابس.

لقد أثارت الأحداث التي عاشتها البارحة اضطرابها فراحت تتنقل في أرجاء المنزل متفوهة بكلمات لا معنى لها، جاعلة من نفسها أضحوكة أمامه.

أخفت قربا وجهها خلف خصلات شعرها المتدلية على وجهها وأخذت تدعو في سرها ألا تكون قد ارتكبت حماقة أخرى... تذكر جيداً أنه فك أزرار قميصه... ولكن هل كان ذلك ليلة البارحة؟

قالت له بنبرة عصبية: «أرجو ألا أكون قد تماديت في تصرفاتي الخرقاء».

ـ ليس تماماً... ولكنني اضطررت خلع قميصي أمامك لحثك على مغادرة الغرفة.

ـ لا شك عندي في ذلك أبداً.

ـ كنت تقفين وسط الغرفة، وتحدقين إلي بفظاظة... فحسبت أنك لن تخرجي قبل أن أتعرى كلياً... لكن الاحراج كسا وجنتيك وفررت هاربة [illegible]! يا لها من طريقة مميزة للتأثير فيه بلياقتها واتزانها!

انزعجت من الابتسامة الهازئة التي ارتسمت على شفتيه وهو يضيف «ليتني لم أكن خائر القوى لأستمتع أكثر بالارتباك الذي بدا عليك!».

- يسرني أنني أمنت لك القليل من التسلية.

- لم أكن مسروراً أبداً حين استيقظت ليلاً لأشرب ووجدتك نائمة على الكنبة والأنوار مضاءة... حاولت أن أوقظك ولكنك كنت تدمدمين بكلام غير مفهوم عن الباص الذي فاتك. حاولت أن أصرخ في وجهك لتستيقظي من سباتك العميق، لكن من دون جدوى... فحملتك مكرهاً إلى السرير ورميتك عليه وأنا أكاد أرزح تحت ثقلك!

ممتاز! لم يكتف بالسخرية من حماقاتها بل تعدى ذلك لينعتها بالبدينة!

- لا داعي للقلق! ساعدتك على خلع حذائك فحسب.

ثم أضاف وقد أساء فهم الارتباك الذي بدا على وجهها: «ليتني تركتك تذهبين مع لوسي إلى منزلها».

راحت المياه تغلي، فصب الشاي في الكوب، ثم وضعه أمامها على الطاولة وقال: «اشربي الشاي وستشعرين بتحسن».

رفعت رأسها بحذر وارتشفت القليل من الشاي، ثم عبست قائلة:

- وضعت فيه سكراً.

- اشربيه.

لم تكن فريا قادرة على مجادلته، كما أن ألم رأسها أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً، مع كل رشفة من الشاي.

وإذ بدأت تشعر بتحسن ملحوظ، لاحظت أن ماكس يرمي بقايا الطعام من حفلة البارحة فقالت له بصوت خفيض: «دعني أهتم بالأمر».

رماها بنظرة خاطفة قائلاً: «لا أستطيع الانتظار لأنني أتضور جوعاً وأريد أن أحضر طعام الفطور».

- الفطور!

- لم أذق طعم الأكل منذ صباح البارحة.

راحت فريا تراقبه وهو يفتح باب البراد ويأخذ قطعة من اللحمة وعلبة

البيض التي اشتراها بغية اتباع رجيم.

وضع ماكس المقلاة على النار، ثم أخذ يكوم الصحون والكؤوس المتسخة في الجلاية... فقالت له، في محاولة منها لخرق الصمت الذي ساد بينهما: «ما الذي أصاب لوسي ساعة وصولك؟ سمعتها تتحدث إليك متذمرة».

- أرادت أن تصطحبني معها لقضاء الليلة في منزلها.

ثم نظر إليها ساخراً وأضاف: «لم تشأ أن تفسد سهرتك مع ذلك الصحافي... ولكنني أفهمتها أن حياتك العاطفية قلما تهمني، لا سيما وأنني كنت متعباً للغاية بعد أن أمضيت ثلاثة أيام أتنقل خلالها من طائرة إلى أخرى».

- وكيف علمت أن دان صحافي؟

- قدم لي نفسه بكل وقاحة فيما كنت منهمكة بتوديع ضيوفك.

وضع ماكس مسحوق التنظيف في غسالة الصحون وأغلق بابها بعنف فانتفضت فريا.

- والأسوأ من ذلك أنه لم يحاول الاعتذار عن استراقه السمع إلى حديثنا، بل راح يحدثني عن عمله في محطة تلفزيونية لم أسمع عنها من قبل ملحاً علي لأخبره بكل ما أعرفه عن الانقلاب.

قطبت فريا جبينها وسألته: «أي انقلاب؟».

- رباه! ألا تذكرين شيئاً أبداً عن ليلة البارحة؟

وفيما كان يضع شريحتين من اللحمة في المقلاة، تابع كلامه قائلاً: «ألا تعلمين أن المنطقة تشهد اضطرابات شديدة منذ بضعة أسابيع؟ حسبت أنك ترقبين رحيلي في أي لحظة».

فأجابته باقتضاب رافضة الإقرار بأن ليس لديها أدنى فكرة عن المنطقة التي يتحدث عنها: «ثمة أمور أخرى تشغل بالي».

- مثل ماذا؟ كالشبان الذين يرتدون سترات جلدية؟

رمقته فريا بنظرة باردة وسألته: «ما الذي حصل بالضبط؟».

ـ كنت أحاول إنجاز مشروعي قبل أن ينفجر الوضع، غير أنني عدت إلى أوزوتو في الوقت غير المناسب!

صرخت فريا مذهولة فأوقعت كوب الشاي على الطاولة.

ـ أوزوتو؟

فأجابها بنفاد صبر: «عاصمة مبانزير... أظنك تعرفينها!».

ـ طبعاً... ولكنني...

وتوقفت عن الكلام من شدة الألم في رأسها، وهي عاجزة عن إيجاد تفسير للإحساس الغريب الذي سيطر عليها وكأنها سمعت هذه الكلمات من قبل. وشعرت بأن حياتها تحولت إلى حلقة مفرغة إذ عاد ماكس من البلد عينه، وقد لوحت الشمس بشرته في حين أنها لم تتخلص بعد من تلك البراءة في إذلال نفسها أمامه... ست سنوات مضت ولم يتغير شيء.

قالت له بنبرة رقيقة: «يا لها من صدفة غريبة... كنت أتحدث عن أوزوتو ليلة البارحة...».

ـ مع صديقك الصحافي، أليس كذلك؟ لكنه لا يعرف شيئاً عن تلك المنطقة، رغم أنه عيّن مراسلاً صحفياً فيها... انهال علي بوابل من الأسئلة عن الوضع في البلاد، ولكنني لم أستطع أن أخبره الكثير، لأنني كنت في الجزء الداخلي للبلاد ساعة وقوع الانقلاب... وسمعت بما حصل خلال زيارتي للحاكم... كانت الطرقات تعج بالجنود... فطلب مني السفر في الحال، لئلا أصاب بأي أذى... وها أناذا!

* * *

٣ ـ ماذا تخبىء لنا الحياة؟

نعم... إنه حقاً هنا... يتنقّل في المطبخ بخفة ويقوم بحركات بدت لها مألوفة جداً، وكأنها اعتادت دوماً أن تراه وهو يعد طعام الفطور.

ولكن أليس غريباً أن تجلس أمامه مرتدية ثياب النوم، فيما هو يعالجها من الصداع الأليم الذي أصابها، ويحدثها عن الوضع السياسي في أفريقيا؟

أخذت فريا تتخيله وسط المتظاهرين محاولاً أن يقيّم الوضع برباطة جأش وهدوء... إذ ليس من طبعه الصراخ بل هو من النوع الذي يعرف تماماً كيف يحافظ على هدوئه فلا ينفعل مهما حصل، إلى حد يثير الغيظ أحياناً...

قالت له: «ألم يكن بوسعك البقاء؟».

ـ كلا، وإلاّ عرضت نفسي للخطر.

وتابع يقول وهو يقلب اللحمة في المقلاة: «لا يمكنني أن أفيد البلاد وهي في حالة اضطراب... فوجدت أن الحل الأفضل هو أن أعود إلى «باري» لأجمع الأموال اللازمة للمشروع وأرجع بعدئذٍ إلى افريقيا».

إنه التصرف النموذجي المتوقع من ماكس... إذ لم يقدم يوماً على أي خطوة من دون أن يحكّم عقله، إلا في تلك الليلة...

شعرت بدماء حارة تتدفق في عروقها وقد عادت ذكرى تلك اللحظات إلى ذهنها... أتراه يذكر ما حصل؟

سألته بسرعة علها تطرد تلك الأفكار من رأسها: «كم يتطلب ذلك من وقت؟».

www.liilas.com
كوكا الحلوة

هز كتفيه بلا مبالاة وأجابها: «من الصعب التكهن بذلك... ربما بعد شهر أو ستة أسابيع أو أكثر...».

- بعد شهر؟

لم تستطع فريا إخفاء الرعب الذي تملكها فاستطردت تقول وهي تحول باهية بنظرها في المكان: «من الأفضل أن أبحث عن مكان آخر أقيم فيه!».

سألها ماكس خارقاً الصمت الذي ساد بينهما لبعض الوقت:

- هل من مكان آخر تذهبين إليه؟

أجابته وهي تفكر بنيل: «يمكنني أن أقيم في منزل صديقي لبعض الوقت».

- ذلك الصحافي الذي كنت تعانقينه ليلة البارحة؟

- دان؟ كلا، فعلاقتنا ليست وطيدة إلى هذا الحد...

- لكن تصرفاتك أوحت لي بعكس ذلك.

- يمكنني أن أسأله إن كان بوسعي الإقامة عنده.

تذكرت بصعوبة بالغة مهنتها، فهل من طريقة أفضل لتعزيز علاقتها بدلاً من الانتقال للعيش معه خلال الأسابيع القليلة المتبقية له في لندن؟ ولكن عن أي علاقة تتحدث؟ صحيح أنه كان رفيقاً معها البارحة، غير أنه من المحال أن تطرق بابه حاملة حقيبتها على ظهرها، فقط لأنه أراد معانقتها ليلة البارحة.

- لا داعي لذلك... يمكنك البقاء هنا.

- ماذا عنك؟

- أظن أن الشقة تتسع لكلينا، كما أن إقامتي لن تطول كثيراً.

ثم تردد قليلاً قبل أن يضيف: «أخبرتني لوسي أنك تعانين من مشاكل مادية، توافقت بكل طيبة خاطر على أن تقيمي هنا... لا أحد يضاهي لوسي مهارة في الابتزاز العاطفي».

أجابته وقد جرحت كلماته كبرياءها في الصميم: «لم أعلم أنها تعلم ذلك... فقد قالت لي إنك تحتاج لمن يهتم بالمنزل خلال غيابك».

- أصحيح ما أخبرتني إياه؟

- عن ماذا؟

- عن مشاكلك المادية.

حاولت أن تدعي اللامبالاة وهي تجيبه قائلة: «في الواقع لدي التزامات مالية كثيرة».

- عن أي نوع من الالتزامات تتحدثين؟ فلا أولاد لديك أو سيارة أو رهن... أو حتى كلب!

- لدي بطاقة اعتماد.

سألها باستهجان بينما كان يضع البيض في المقلاة: «ألا ترين أن الوقت حان لتسوي أوضاعك المالية؟».

- كلامك يشبه كلامي والدي... أنا أبذل جهدي لمعالجة الوضع، لذا أبلك من دون تردد أن أهتم بالشقة خلال غيابك بدلاً من أن أدفع إيجاراً.

راح ماكس يقلب البيض واللحمة على النار، من دون أن يتفوه بكلمة، ولكن فريا قدّرت أن ذهنه مشغول بالفوضى السائدة في غرفة الجلوس.

وتابعت كلامها محاولة الدفاع عن نفسها: «أقسم لك أنني لم أقصّر في أداء واجباتي. أعلم أن الشقة مقلوبة رأساً على عقب ولكنني سأرتبها في الحال...».

سكب ماكس البيض المقلي في صحن، ووضعه على الطاولة، فشعرت بالغثيان لدى رؤية الطعام، وأشاحت بنظرها بعيداً عنه.

حمل ماكس قطعة من الخبز ودهنها بالزبدة قائلاً:

- في ظل الظروف الراهنة، من الأفضل لكلينا أن تبقي هنا... إذ لا أريد أن تتهمني لوسي برميك في الشارع، لا سيما وأنك لا تملكين ما يكفي من المال للانتقال إلى شقة أخرى... ولكن القرار يعود لك وحدك...

ثم تابع يقول، فيما فريا تحدق إليه مذهولة: «إن قررت الرحيل فلن أمنعك».

أجابته على الفور: «لا أريد البقاء...».

لم تحاول إخفاء التردد الذي شعرت به، فقطب ماكس جبينه دهشة وهو

يسألها بحزم: «ولكن؟».

- لا شيء.

أطلق ماكس تنهيدة عميقة قائلاً: «هيا يا فريا... هاتِ ما عندك».

- أظن أن الوضع... ألم تفهم ما أقصده؟

- ماذا؟

- أظن أن الوضع مربك بعض الشيء.

سألها وقد بدأ صبره ينفد: «ما الذي تجدينه مربكاً؟».

- أن نقيم معاً... أعلم أننا لن نقيم معاً بكل ما للكلمة من معنى ولكن...

تلعثمت فريا، وماتت الكلمات على شفتيها... وشعرت بالاحمرار يزحف إلى وجهها وقد تسمرت عينا ماكس عليها... فأشاحت بوجهها وراحت تمسح بقايا الكحل من تحت عينيها، وهي تلوم نفسها لأنها لم تغسل وجهها أو تمشط شعرها قبل مواجهته.

- أتعتقدين أنني سأحاول اغواءك؟

ردت عليه بتحدٍ بالغ، وقد أثارت نبرته الساخرة سخطها:

- لن تكون المرة الأولى.

لم يعلق ماكس على كلامها، وانصرف إلى تناول طعامه، من دون أن تظهر على وجهه إمارات التأثر.

وبعد مرور بضع دقائق، قال لها بلا مبالاة:

- أتجدين أنه لا يمكننا أن نتقاسم الشقة نفسها لأنني عانقتك مرة؟

- كلا... أقصد بلى...

وعلا الاحمرار وجنتيها وهي تضغط بيديها على كوب الشاي... لماذا يجعلها دوماً تبدو حمقاء؟

- حدث ذلك منذ ست سنوات يا فريا واتفقنا على أن ننسى ما حصل... وإن لم تخنّي ذاكرتي لم يعنِ لك هذا شيئاً... فلماذا تعطينه اليوم أهمية بالغة؟

ثم أضاف متسائلاً: «لا أظن أن ذكرى ما حصل بقيت تلاحقك خلال هذه السنوات كلها. أليس كذلك؟».

قالت له عابسة: «كان بوسعك الاكتفاء بالرد عن سؤالي بكلمة «لا»».

كيف بوسعه الحفاظ على رباطة جأشه والاستمتاع بتناول طعامه وكأن شيئاً لم يكن؟

- أتزعجك فكرة معانقتي لك في الماضي؟

- أبداً.

- حسناً، ولا أنا أيضاً!

شعرت فريا برغبة شديدة في غرز الشوكة في أنفه، لكنها تمالكت نفسها واكتفت بالقول متذمرة: «حسناً، فهمت وجهة نظرك...».

- بصراحة، يفاجئني أنك لا تزالين تذكرين تلك الليلة.

- ماذا تقصد؟

- اسمعي، ما أحاول قوله هو إنك كنت مستاءة بسبب شجارك مع صديقك... وحسبت أن مشاعرك نحوه تفوق ما حصل بيننا أهمية... أنا أميل إلى أنك نسيت الموضوع برمته، لا سيما وأنني غالباً ما كنت أراك برفقة الرجال...

عن أي رجال يتحدث؟ أليس من البديهي أن تلاحظ إن كان أحدهم يحوم حولها فعلاً؟

صحيح أن لوسي تتهمها دوماً بأنها لا تجيد قراءة الإشارات، ولكن لا أحد قد يمنعها عن المعجبين المصطفين خلفها.

- لم أكن...

ولكنها توقفت عن الكلام رافضة أن توضح له الأمر... ما الذي يجب عليها فعله؟ أتعترف له بأنها لم ترتبط بعلاقة جدية منذ تلك الحادثة؟ ولكنه [illegible] أنها لم تتمكن من نسيانه... فيستمتع بإذلالها تاركاً لها منفذاً صغيراً لإنقاذ ما تبقى لها من كرامة...

فارتأت في نهاية المطاف أن تكتفي بالقول وهي تومىء برأسها وكأ
فهمت مقصده: «نعم... صحيح...».

نهض ماكس ليحضر لنفسه المزيد من التوست، وهو يقول: «لا حر
من الإقامة معاً، ولكن ذلك لا يعني أنك لا تثيرين حفيظتي».

ـ ماذا تقصد؟

ـ لنبدأ أولاً بالحديث عن النظافة... إذ يخيل إليّ أن طبعينا متناقض
من هذه الناحية. فإن كنت تحبين العيش في قمامة، أفضل من جهتي
أحظى ببعض الترتيب.

الترتيب... إنها كلمة أخرى تضاف إلى معجم ماكس المعتاد.
خطر في بالها أن تقول له إن الإفراط في الترتيب إنما يدل على إحسا
بالنقص ولكنها تذكرت فجأة انها لا تملك مكاناً آخر، فتنهدت، وفضلت
تجيبه ببرودة: «لا تنسَ أنني دعوت أصدقائي للاحتفال بعيد ميلادي».

ـ ماذا عن غرف النوم؟ أرى أنك أفرغت خزانة ملابسك على الأرض

ـ كنت على عجلة من أمري.

ـ فرميت كل شيء أرضاً؟

ـ ألم تشاهد يوماً امرأة تستعد لحضور حفلة؟

ـ اسمعي يا فريا! يمكنك أن تفعلي ما يحلو لك في غرفتك، ولكن عل
الالتزام ببعض القواعد الأساسية في ما يتعلق بالغرف الأخرى المشتر
كالمطبخ وغرفة الجلوس.

فردت عليه بتهكم: «ما رأيك لو نضع شروطاً محددة وعقاباً لكل
يخرقها؟».

نظر ماكس إليها باستهجان وهو يخرج التوست من المحمصة، وقال
«كفى تصرفات صبيانية...».

وقاطعه رنين الهاتف، فرفع السماعة وقال بصوت عالٍ:

ـ نعم... من؟... لحظة واحدة...

ثم ناولها السماعة قائلاً: «المكالمة لك... إنه دان فرير!».

ـ مرحباً يا دان!

وإذ لاحظت ملامح الازدراء التي ارتسمت على وجه ماكس، تابعت
قولها بلهفة: «يسرني أن أسمع صوتك».

شكرها دان على حفلة البارحة، وسألها ما إذا قرأت صحيفة
الصباح... غير أن حالتها لم تكن تسمح لها بارتداء ملابسها والخروج
لشراء الصحيفة... فأجابته بلباقة: «لم تسنح لي الفرصة بعد للخروج».

ـ لقد أدرجوا مقالتي في الصفحة الأولى، وأردت أن أشكر صاحب
الفضل على المعلومات التي زودني بها... بالمناسبة، ما كان اسمه؟

كان ماكس منهمكاً بتناول التوست وهو ينصت إلى حديثها. لم تشأ أن
تعلم بأنهما يتحدثان عنه... ولكن كيف لها أن تدّعي نسيان اسمه؟

فأجابت على مضض: «ماكس... ماكس تورتون».

ـ أرسلي له سلامي.

ـ طبعاً.

غير أنها لم تكن تنوي ذلك، لأن لسانه سليط ولا يمكنها أن تتكهن برد
فعله إن لفظت اسم دان أمامه.

ـ حسناً... ما رأيك لو نتناول الغداء معاً لنكمل ما بدأنا به، حين
قاطعونا بفظاظة؟

ـ أعاني منذ الصباح من صداع أليم، ولا أظنني قادرة على الخروج.

فسألها دان بإذعان: «يمكننا الخروج مساءً».

وصرخ ماكس من الخلف: «قولي له إنك لن تتمكني من الخروج من
المنزل لمدة أسبوع».

فسألها دان: «ما هذا؟».

أجابته على عجل وهي تلتفت إلى ماكس بسخط:

ـ لا عليك... يسرني أن ألبي دعوتك على العشاء.

ـ ممتاز! سأمر لاصطحابك عند السابعة والنصف.

ـ سأنتظر وصولك بفارغ الصبر.

وضعت فريا سماعة الهاتف مكانها وأغمضت عينيها متأففة...

ليتها لم تسمع كلام لوسي وبيل!... ليتها بقيت قابعة في جحرها منتظرة فارس أحلامها الذي سيخرجها إلى النور!...

وبدلاً من أن تمضي نهاراً هادئاً، عليها الآن أن تستحم وتتبرج، وتتأنق في ملابس مثيرة وتدعي الفطنة وسرعة البديهة، من دون أن تنسى أن تضحك كلما خطر لدان أن يخبرها نكتة ما.

تنهدت فريا وهي تضع رأسها بين يديها من جديد، معترفة في سرها بأنها ليست مهيأة لمواجهة هذا كله.

سألها ماكس بنبرة عدائية: «لماذا لم تعتذري منه إن كنت لا ترغبين بمرافقته؟».

رباه! إنه محق تماماً! ما الذي دهاها يا ترى؟ لا شك أن أحداث ليلة البارحة أفقدتها القدرة على التركيز... ولكن دان لم يترك لها مجالاً لترفض دعوته، بينما كل ما ترغب فيه هو العودة إلى فراشها.

ـ ولكني أريد الخروج.

ـ كاذبة.

ـ أظن أن الصداع سيزول خلال النهار... وهل تعتقد أنني سأرفض دعوة دان فرير؟

لوى ماكس فمه امتعاضاً وهو يقول: «ما الذي يميزه عن سواه؟».

ـ لنرَ...

وبدأت تعد صفاته على أصابعها.

ـ إنه صادق، وحساس، ووسيم، وذكي، وصاحب نكتة، ولبق...

وتذكرت فجأة أنه لم يعد كذلك في نظرها ولكنها تابعت كلامها محاولة إقناع نفسها وليس ماكس، الذي لم تظهر عليه علامات التأثر.

ـ ومثير، ومسلٍ... هل من داعٍ لقول المزيد؟

فأجابها بنبرة قاسية: «يستحسن ألا تفعلي، لأن كلامك أصابني بالغثيان».

تجاهلت فريا تعليقه اللاذع وأضافت: «وهو لطيف جداً... المراسلون لا يتحدثون عادة إلا عن مشاكلهم المادية... أما دان فمختلف تماماً، ولم يتوانَ يوماً عن إظهار اهتمامه بي... غالباً ما نتبادل أحاديث شيقة، وكأن ثمة رابط بيننا».

ـ نعم، إنه الهاتف...

ـ كنت واثقة من أنك لن تفهمني.

ـ طبعاً... طبعاً، فمن الصعب عليّ أن أفهم كيف استطاعت امرأة ذكية مثلك أن تقع في غرام رجل لا يتمتع بأي شيء إلا وجهه الجميل، وسحره المصطنع... فأمثاله لا يتوانون عن استغلال الآخرين لخدمة مصالحهم الشخصية.

www.liilas.com
كوكا الحلوه

ـ مذهل! كيف استطعت أن تفهم طبعه وأنت لم تتحدث إليه إلا مرة واحدة لثلاثين ثانية؟

ـ غالباً ما أقابل مراسلين صحفيين في افريقيا... إذ يقضون معظم أيامهم بحثاً عن قصة شيقة أو خبر جديد... مهما كلفهم ذلك.

قطب ماكس جبينه قرفاً، فيما كانت عيناه مسمرتين على فريا الجالسة قبالته على الطاولة.

ـ أؤكد لك أن ما من شيء يهم دان فرير إلا نفسه... لذا يستحسن أن تكوني حذرة في تعاملك معه.

ـ سئمت التعامل مع الناس بحذر، وأريد أن أعيش تجربة مثيرة... معظم الرجال الذين قابلتهم في حياتي أقل من عاديين... ولكن دان مختلف وأشعر أن علاقتنا ستكون مميزة.

ـ لا أظنك مقتنعة بأنه يهتم لأمرك فعلاً، أليس كذلك؟

ما من داعٍ لأن يوضح لها أن دان ليس ملائماً لها... فرفعت رأسها وقالت: «إن لم يكن مهتماً لأمري، فلماذا تراه دعاني للخروج؟».

ـ لعله يريد منك شيئاً.

رفعت فريا حاجبيها دهشة وهي تسأله: «ما الذي يريده مني؟ أؤكد لك

أن كل ما قد يحظى به هو وصف دقيق للمشاعر التي تنتابني حين يظهر شق
صديقتي فجأة ويسعى لإذلالي أمام الناس».

صب ماكس المزيد من الشاي في كوبه وقال لها ببرودة وكأن كلامها
يعنيه بتاتاً: «افعلي ما يحلو لك! أردت أن أحذرك فحسب...».

* * *

٤ ـ لعبة حظ

ـ كم هو مقيت شقيق لوسي!

أعلن بيل ذلك فيما كان يتمرن على الدراجة الهوائية قربها، محاولاً التخلص من بعض الكيلوغرامات الزائدة.

وأضاف وهو يهز رأسه: «لا أصدق أنك كنت تحنين إليه طوال هذه السنوات».

فأجابته معترضة: «لم أكن أحنّ إليه».

ـ ولكن حديثك عنه أوحى لي بأنك لم تستطيعي نسيان تلك النزوة...

فقالت له بنبرة باردة: «لا أعلم عما تتحدث!».

ـ كيف وجدت العيش مع فتى أحلامك؟

ـ مريع! فهو مهووس بنظافة المنزل ولا تمر لحظة واحدة من دون أن ينظر إلي ليجعلني أبدو مغفلة أمامه.

نظر بيل إليها بفضول وسألها: «كيف يفعل ذلك؟».

ـ لست أدري... ولكن نظراته غريبة ونبرة صوته ساخرة...

ـ ما رأيك لو تنتقلين للعيش معي ومع ماركو؟

تأثرت قريباً من عرضه هذا خاصة وأن شقته صغيرة جداً وبالكاد تتسع لهما؛ فقالت له شاكرة: «هذا لطف منكما، ولكن ماكس سيعود قريباً إلى الرياض، واتفقنا على أن لا ضرر من أن نقيم معاً خلال هذا الوقت».

ثم أضافت بنوع من التحدي: «الذنب ليس ذنبي إن وقع انقلاب في البلاد، أليس كذلك؟».

ـ طبعاً، إلا إذا كنت تعانين من انفصام في الشخصية.

قالت له بجدية وكأنها تحاول اقناع نفسها بأن قرارها كان صائباً: «و... تنسَ أن الشقة قريبة من مكان عملي».

ـ ومن منزل دان...

ـ نعم.

وشعرت فريا بتأنيب الضمير لأنها لم تفكر فيه أولاً.

ـ حسناً، كفانا كلاماً عن ماكس...

ـ كيف كان موعدك مع دان مساء البارحة؟

ـ جيد.

ولكن ردها لم يرق له فرفع حاجبيه دهشة وسألها:

ـ جيد؟ أي جواب هذا؟ أنسيت أننا نتحدث عن الرجل الذي تت... معظم نساء العالم أمام شاشات التلفزة لمشاهدته؟... أظن أن معظم النـ... اللواتي دعوتهن إلى حفلتك، باستثناء المتزوجات منهن، كنّ يتلهفن ليحظـ... بابتسامة منه... فما بالك لو ضرب موعداً مع إحداهن؟

أشاحت فريا وجهها بعيداً رافضة أن تشرح له سبب عدم رضاها عـ... تلك السهرة... صحيح أن دان كان في غاية الرقة معها، ولكن بعد... حاول استجواب ماكس حول الوضع السياسي في مباتزير، خطر لها... دعوته لها ليست سوى محاولة منه للتقرب من ماكس.

ولعل أكثر ما زاد الطين بلة هو أن الفكرة عينها خطرت أيضاً لماكـ... الذي لم يحاول إخفاء نظرات التهكم في عينيه وهو يودعها.

في تلك اللحظة، صممت على أن تثبت له أن علاقتها بدان تتعد... المصالح الشخصية. ولكن مع مرور الوقت وجدت نفسها تختلق الأعـ... للعودة باكراً إلى المنزل، وهي تختلس النظر إلى ساعتها، بين الحين والآخر.

وكم خاب أملها حين اكتفى دان بملامسة خدها بنعومة وهو يود... متمنياً لها أحلاماً سعيدة.

ولكن ما السبب وراء لا مبالاتها بوعده لها بأن يتصل بها لاحقاً، و... الآن ليجعلها تحلّق من السعادة لو قطعه لها قبل تلك الحفلة المشؤومة؟

تنهدت فريا بعمق وقالت لبيل: «أعرف ذلك... كنت متعبة وكان مزاجي متعكراً... لست أدري... ربما لأن دان سيسافر إلى افريقيا بعد أقل من ثلاثة أسابيع».

ـ اذهبي معه إلى افريقيا.

ـ حتماً... وكأنني أملك المال اللازم لذلك.

ـ جلّ ما عليك تأمينه هو ثمن تذكرة السفر... إذ لا أخال أنه سيدعك تدفعين مصاريف الإقامة في فندق.

ـ ولكنني لا أستطيع اللحاق به إلى مباتزير... هل نسيت أن القلاقل تحصل في البلاد؟ كما قد يخال أنني أطارده.

لوّح بيل بيده محتجاً وهو يقول: «لن تسافري قبل أن يستقر الوضع... وعند وصولك تفاجئين دان مدعية أنك ربحت رحلة إلى افريقيا وخطرت لي أن تذهبي للبحث عنه».

وتابع يقول محاولاً أن يشعل فيها الحماسة: «سمعت أن شواطىء شمالي مباتزير تجذب إليها محبي الأماكن الرومانسية الهادئة... ومن يدري ما قد يحصل إن رافقت دان إلى أحد هذه الشواطىء؟».

انفرجت فريا فمها لتعلق ساخرة على تلك الفكرة، ولكنها عادت وعدلت عن ذلك... فمنذ أن أخبرها ماكس عن الليالي الأفريقية الحارة ومياه المحيط الهندي الممتدة إلى ما لانهاية، وشواطئه المكسوة بالرمال البيضاء، وهي تتوق في أعماق نفسها للسفر إلى مباتزير والاستمتاع بهذه المناظر الخلابة... ولكنها لم تكن تجرؤ على السفر إلى هناك بسببه، بينما بات الآن بوسعها أن تتخذ من دان عذراً مناسباً.

بالإضافة إلى ذلك، قد ترتاح خلال الأسابيع القليلة المتبقية على سفر... من الضغط الذي يمارسه عليها بيل ولويس، للتودد إليه أكثر... فأصبحا وكأنهما يراقبان تحركاتها عن كثب، بانتظار أن تحرز تقدماً ملحوظاً.

... فريا تضغط بشدة على دواستي الدراجة الهوائية، وهي غارقة في

أفكارها تحدق إلى الشاشة أمامها، من دون أن تراها. . .

أليس السفر بمفردها إلى افريقيا مغامرة خطيرة؟ فإن سُرّ دان برؤيتها نالت مرادها، وإن لم يفعل عادت إلى جحرها وهي تعي أنها استطاعت على الأقل أن تعيش تجربة مثيرة؟

وإذ أخذت أفكارها تنجرف بعيداً عن علاقتها بدان، وبخت نفسها بشدة. . . فالحياة وضعت دان على دربها وعليها ألا تفشل معه مهما حصل.

عادت وأكدت لنفسها أنها تريده بكل جوارحها ولكنها نادمة لافصاحها عن رغبتها في تغيير نمط حياتها أمام صديقيها. . . فإلحاحهما حوّل توددها إلى دان إلى مهمّة يجب أن تنجح فيها لتعزز ثقتها بنفسها. . .

أعلنت فريا بعد تفكير عميق: «سأحاول الاستعلام عن الرحلات إلى اوزوتو».

ـ عليك أن تحددي غداً موعد السفر. . . ولكن احرصي على اختيار موعد وصولك بشكل دقيق. . . فإن وصلت إلى افريقيا قبل أن تتاح له الفرصة حتى لإفراغ حقائبه شعر بأنك تطاردينه. . . ولكن إن لحقت به بعد أسبوع أو اثنين، فسيسر لرؤية وجه مألوف، لا سيما وأن الفرصة لن تكون قد سنحت له بعد للتعرف إلى أصدقاء جدد.

خطر لفريا أن تسأله كيف استطاع أن يكتسب هذه الخبرة الواسعة في الحياة حتى في ما يتعلق بالتوقيت اللازم للحاق بمراسل أجنبي إلى مقر عمله الجديد. . . ولكنها تعلم جيداً أن بيل ضليع بالمسائل العاطفية، ومن الأفضل أن تتبع نصائحه.

ـ ولكني لن أتمكن من جمع ثمن تذكرة السفر خلال هذه الفترة الوجيزة، لاسيما وأنني أنفقت كل ما ادخرته على الحفلة.

ـ سنجد حلاً لهذه المشكلة. . . فثمة طرق عديدة لكسب النقود. . . اشتريت منذ بضعة أيام علبة من رقائق البطاطا ووجدت فيها بطاقة يانصيب قد تربحك مليون باوند.

ـ وهل ربحت شيئاً؟

ـ كلا، ولكن حظك بالربح قد يكون أوفر مني. أليس كذلك؟

ـ سأشتري علبة منها في طريقي إلى المنزل.

وجدت فريا لاحقاً أن بيل على حق. . . فالحياة تخبيء مفاجآت كثيرة، ولا شيء يمنع من أن تكسب أموالاً طائلة من ألعاب الحظ. . . فاشترت ورقة يانصيب والكثير من بطاقات الحظ، وكأنها مصممة على تغيير قدرها. . .

وعندما دخل دان إلى مكتبها في اليوم التالي وجلس على حافة الطاولة، شعرت بجفاف في حلقها، فحملت قلمها وحاولت أن تلهي نفسها بالكتابة وهي تقول: «أخشى أن السيد [illegible] لديه اجتماع».

منتديات ليلاس

فبعد تلك الأمسية المريعة التي أمضتها برفقته، لم يخطر في بالها أبداً أن يأتي للبحث عنها. ولكنها بذلت جهداً كبيراً لتخفي ذهولها حين أدركت أن دان جاء بحثاً عنها.

فسألها وعيناه البنيتان المشعتان دفئاً تحدقان إليها:

ـ هل أنت مشغولة مساء الجمعة؟

ـ كلا.

لن تحاول المراوغة وإفساد الأمور كما حصل في المرة السابقة. . . فتتذرع بالتعب للعودة باكراً إلى المنزل.

قال لها دان: «أظن أن الوقت حان لنحتفل بوظيفتي الجديدة كما يجب. . . ما رأيك لو توافيني إلى مطعم كوكوكبانا عند الساعة التاسعة»؟

كوكوكبانا. . . أحد أرقى المطاعم التي افتتحت مؤخراً في المنطقة، ورواده من الطبقة المرموقة. . . ولكنه يشهد مساء الجمعة حشداً كبيراً من الناس، وغالباً ما لا يتسنى لرواده تبادل الأحاديث من شدة الضجيج.

رمت فريا دان بنظرة مثيرة وهي ترنو إليه بشغف، فافتر ثغره عن ابتسامة ناعمة، وومضت عيناه ببريق غريب. . . أترين يا فريا؟ تصبح الأمور أسهل بكثير حين تحسنين التصرف.

قالت له بصوت رقيق: «اتفقنا».

لم تحاول لوسي إخفاء فرحتها حين اتصلت بها فريا لتبلغها بما حصل. وقالت لها على الفور: «لا يمكنك ارتداء فستانك الأحمر من جديد... وإياك أن تفكري بارتداء سروال كما تفعلين عادة... سأعيرك تنورة قصيرة لتبرزي جمال ساقيك، فهما أجمل ما فيك...».

ـ حسبت أن شخصيتي هي أجمل ما فيّ.

ـ لا تكوني سخيفة فالمسألة بالغة الأهمية... قد تكون ليلة الجمعة حاسمة بالنسبة إليك، وعليك أن تستعدي لها!

وأرغمت فريا على تدوين كل خطوة عليها أن تقوم بها، من طلاء الأظافر إلى تصفيف الشعر والماكياج، حتى خيل إليها في نهاية المطاف، أنها أشبه بسيارة مستعملة تحتاج إلى صقل على أمل لفت نظر شارٍ مناسب لها.

فقالت لها معترضة: «لا أملك الوقت الكافي للقيام بهذا كله... قد تنتهي عطلة نهاية الأسبوع قبل أن أصبح جاهزة.

ـ كفاك تذمراً... تخيلي سيأخذك دان بين ذراعيه ويهمس قائلاً: «كم تبدين جميلة» ستشعرين إليّ شاكرة...

وتابعت لوسي تقول: «عليك أن تظهري في قمة الجمال والإثارة... صحيح أن لشخصيتك دوراً تلعبه، ولكنني لا أظن أن دان قد يسر برؤيتك إن وصلت إلى الرزوتو، شاحبة الوجه رثة الملابس خشنة الملمس ورائحتك نتنة»...

ـ يا إلهي! لا!

وشحب وجه فريا وهي تتخيل نفسها في تلك الحالة المريعة... خاصة أن دان معتاد على النساء الرشيقات الحريريات الملمس اللواتي يبالغن في الاعتناء بمظهرهن الخارجي...

لذا عقدت عزمها على أن تتبع إرشادات لوسي بحذافيرها، وتستعد لكل ما ينتظرها مع دان بعد العشاء.

* * *

٥ ـ ما الذي تعرفه عن الحب؟

مساء الجمعة، عادت فريا باكرة إلى المنزل لتضع اللمسات الأخيرة على استعداداتها التي دامت أسبوعاً بكامله.

جلست على الكنبة في غرفة الجلوس تطلي أظافرها، وتقرأ مقالة في مجلة الكوزموبوليتان، عن بعض التقنيات الحديثة للتقرب من الحبيب، محاولة أن تحفظ الإرشادات بالترتيب...

ومر شريط ذكريات موقفها الشهير مع ماكس في ذهنها... فأقفلت المجلة، وأخذت تحدق في العدم فيما الصور تتدافع في رأسها... اعتصر الحزن قلبها وهي تتذكر شوقها الجارف إليه...

أغمضت فريا عينيها محاولة أن توقف سيل تلك الذكريات التي بقيت حية في ذهنها وكأن ماكس خرج من الباب منذ ست دقائق خلت، وليس منذ ست سنوات... هل كانت علاقتهما لتختلف لو لم يسرع بالرحيل؟ طالما تساءلت فريا عما كان ليحصل بينهما لو أنهما أغرما ببعضهما وقررا أن يمضيا قدماً في هذه العلاقة!...

ـ أرى أنك مشغولة هذا المساء؟

أجفلت فريا لدى سماعها نبرته الساخرة فهبت واقفة، موقعة المجلة أرضاً بعد أن ارتطمت بأظافرها وأفسدت الطلاء...

فصرخت في وجهه وهي تحاول اخفاء الارتباك الذي اعتراها:

ـ انظر ماذا فعلت.

ـ يؤسفني أن أكون السبب في هذه المأساة غير المقصودة...

- عليّ أن أعيد طلاء أظافري من جديد والوقت يداهمني.

نظر إليها بحدة وسألها: «هل لخرجين مع الصحاني؟».

- نعم.

- فهمت الآن سبب إمضائك ساعات أمام المرآة، خلال الأسبوع الماضي.

فاجأتها دقة ملاحظته ومعرفته لكل ما يدور في المنزل، على الرغم من أنها لم تلتق به إلا لماماً خلال الأيام الماضية... فحين يغادر ماكس المنزل صباحاً، تكون فريا منهمكة بتصفيف شعرها والاعتناء ببشرتها، وعند عودته مساء بعض ساعات طويلة في مكتبه بعدّ التقارير.

وقعت فريا ذقنها بيدها وقالت له: «أريد أن أبدو في قمة الجمال من أجل دان».

كشر ماكس ازدراء وهو يلتقط المجلة التي وقعت أرضاً وإذا بها تقع على المقالة التي كانت تقرأها... فسألها وهو يرميها بنظرات هازئة:

- هل كنت تتعلمين أفكاراً جديدة؟

علا الاحمرار خديها وهي تنتزع المجلة منه قائلة بنبرة حادة:

- لا أعتقد أن دان يحتاج إلى الإرشاد في هذا المضمار.

- ألهذا السبب وجدتك مستلقية على الكنبة، وقد ارتسمت على ثغرك ابتسامة حالمة؟

ابتلعت فريا ريقها بصعوبة وهي تشعر بالخزي من الأفكار التي راودتها، فبما كانت تستلقي مغمضة العينين...

أجابته بنبرة عدائية وهي تشكر الله في سرها لأنه لم ينعم على ماكس بالقدرة على قراءة الأفكار: «ما رأيك أنت؟».

ظهرت ابتسامة ساخرة على طرف فمه ولكنه أبى الرد عليها بل راح يجول بعينيه على الطاولة الصغيرة بينهما، والتي فرشت بالقطن والمناديل الورقية وطلاء الأظافر، ثم قال لها بفظاظة: «أتمنى أن ترتبي المكان قبل انصرافك».

- حتماً... أتفضل أن أرتب الأغراض حسب ترتيبها الأبجدي أم

تاريخ شرائها؟

- لا يهمني أين تضعينها طالما أنك ستبعدينها من هنا!

ثم أضاف من دون أن يتخلى ولو لبرهة واحدة عن تهكمه: «أمضيت البارحة قرابة الساعة أنظف غرفة الجلوس... وأرجو ألا تضعي أغراضك في الطبخ... لماذا لا تبذلين بعض الجهد وتعيدي أغراضك إلى مكانها؟».

- لأنني لست مولعة بالترتيب مثلك... وأظن أن هوسك بوضع الأشياء في علبها وإغلاقها بإحكام، يدل على مرض نفسي.

ضغط شفتيه غضباً وهو يقول: «لا أظن أن الترتيب يعتبر هوساً... ألم يمكنك أن تجدي أغراضك إن لم تكن موضوعة في مكانها؟».

- ألا تجد أنك تشغل نفسك بالترتيب إلى حد تنسى معه الاستمتاع بالحياة؟

فأجابها ماكس بلهجة باردة: «لا أجد متعة في العيش وسط الركام... هذا أنني قادر على الاستمتاع بحياتي... أشكرك على اهتمامك».

- كيف ذلك؟ بالعمل مساء الجمعة؟

- إن أعمل هذا المساء، لأنني على موعد.

- حقاً؟ مع من؟

- مع صديقة لي... ستحضر أولاً إلى المنزل... في مطلق الأحوال لا أظن أن الأمر يعنيك.

ثم أضاف بلهجة جافة: «لذا أرجو منك أن ترتبي المكان...».

شعرت فريا باستياء شديد لم تستطع أن تحدد سببه، وقالت له ساخطة:

- لا داعي للقلق، سأنظف المكان قبل وصول صديقتك.

سألها ماكس مكرراً: «هل ستعودين في وقت متأخر؟».

لا شك أنه أراد التأكد من أن المنزل سيبقى شاغراً إلى حين عودته مع

- ربما... فالقرار يعود لدان وحده.

وقفت فريا أمام المرآة تصفف شعرها وتكحل عينيها، شاعرة بالامتنان

الشديد للوسي لأنها أصرت على إعارتها تنورة سوداء قصيرة تبرز مفاتنها، وقميصاً أزرق مائل إلى الخضرة، يتعاشى مع لون عينيها.

رشت فريا القليل من العطر خلف أذنيها وعلى معصميها، وانتعلت حذاء بكعبين عاليين، ووضعت قرطين متألقين، ثم أخذت تتأمل صورتها في المرآة... صحيح أنها لم تعتد بعد على لون شعرها الأشقر، إلا أنها كانت تعني أنه يبدو أجمل من ذي قبل وهو ينسدل على كتفيها بشكل مثير.

رأت لها صورتها في المرآة وأدركت أن ماكس لن يتمكن من إخفاء نظرات الإعجاب وهي تدخل إلى غرفة الجلوس لتجده جالساً بقرب صديقته على الكنبة.

قطبت فريا جبينها محاولة أن تتخيل شكل صديقته تلك... لا شك أنها فتاة جذابة أو بالغة الذكاء، ولكن بعوزها الذوق.

وتذكرت فريا كم كانت لوسي تتذمر منها لارتدائها سراويل قضفاضة مريحة، تخفي مفاتنها كلياً... ولكنها اليوم إنسانة مختلفة، سواء من حيث مظهرها الخارجي أو تصرفاتها المتكلفة.

حملت فريا حقيبة يدها وخرجت من غرفتها مصممة على إبهار ماكس وصديقته... ولكن مع اقترابها من غرفة الجلوس، بدأت عزيمتها تضعف شيئاً فشيئاً...

كان ماكس يجلس على الكنبة قرب صديقته، أدركت أن الفرق ما بين أوهامها وما رأته في الواقع شاسع جداً... فالفتاة الجالسة بقربه لا تفتقر مطلقاً إلى الذوق، كما أنها ليست من النوع الذي يتأثر بسهولة بأمثال فريا...

ساد صمت عميق بينهم فيما راحوا يحدقون إلى بعضهم البعض... بدا لفريا أن الشابة التي تكبرها سناً، تتمتع بثقة بالغة بجمالها ورشاقتها، على الرغم من أنها ترتدي ملابس عادية جداً.

شعرت فريا بانقباض في معدتها وهي تقيمها، إذ تبين لها أنها من النوع العصري، والسهل المعشر، نوع لا يمت إليها بصلة... ولا شك أن ماكس

وجد فيها ضالته المنشودة، لاختلافها الكبير عنها.

أحست فريا بالعثيان لهذه الفكرة التي راودتها وتمنت لو أنها لم ترتدِ تلك التنورة القصيرة، إذ بدت غاية في الابتذال أمام تلك الشابة الأنيقة. ولكن فات أوان التراجع، وعليها أن تواجه الواقع مهما كان أليماً. قالت بصوت أجش: «مرحباً!».

ردت الشابة التحية وقد ارتسمت على ثغرها ابتسامة ودودة، فيما راح ماكس يتأملها باشمئزاز، ثم قال: «هذه هي صديقة لوسي التي حدثتك عنها».

شعرت فريا بالإهانة من كلماته هذه... أهي مجرد صديقة للوسي في نظره؟ ألم يكن بوسعه أن يقدمها لصديقته بكلمات أكثر رقة؟

أضاف ماكس بنبرة حازمة: «أقدم لك كايت يا فريا».

قالت كايت بنبرة رقيقة: «فريا! يا له من اسم جميل! هل أطلقوه عليك أيضاً بالهة التروجيين؟».

- ليس تماماً... عمتي تدعى فريا... وهي طاعنة في السن!

قال ماكس بلهجة غريبة تخفي ألف معنى ومعنى: «فريا مدعوة على الغداء».

بدا واضحاً أنه لا يرغب بأن تطيل البقاء وتسترسل في الحديث مع صديقته، ولكن فريا ألقت بنفسها على الكنبة المجاورة لها قائلة:

- لست على عجلة من أمري.

- أتريدين كوباً من العصير؟

قال لها ذلك بفظاظة وكأنه يتوقع أن ترفض، ولكنها أجابته بلطف، وهي ترمقه بابتسامة ناعمة: «نعم، شكراً لك».

لاحقته فريا بعينيها وهو ينهض من مكانه ويتوجه إلى المطبخ ليحضر لها فريا فارغاً... كان يرتدي قميصاً أزرق، يليق به كثيراً ويضفي عليه المزيد من الرجولة...

ما الذي تجده فيه كايت؟ فملامح وجهه عادية وشعره البني عادي...

وكل ما فيه عادي. . . وحدها ببرودته الطاغية تميّزه عن سواه. . . ولكنه تخلى عن هذه البرودة حين عانقها منذ سنوات. . .

وعادت الذكريات تغدرها وتتسلل خلسة إلى رأسها، ولكنها طردتها على الفور، فيما راح الاحمرار يزحف إلى خديها. . . عليها أن تجد شخصاً آخر تحلم به، شخص مثل دان.

أفلتت منها تنهيدة حزن، وعادت تنظر إلى كايت التي كانت تحدق إليها باهتمام بالغ ثم سألتها بلباقة: «كيف تعرفت إلى ماكس؟».

إلا أن نبرتها حملت في طياتها إحساساً بالغيرة، إحساساً طغى على محاولاتها الحثيثة لتبدو ودودة. . .

- إننا نعمل معاً. . .

- حقاً؟

لعلها سكرتيرة ماكس. . .

- إنني مهندسة مدنية.

رباه! مهندسة مدنية. . . كم تبدو فريا سخيفة أمامها. . .

ضحكت كايت لذهول فريا وأضافت تقول:

- التقيت ماكس في تانزانيا حيث أنجزنا سوياً مشروعاً للري. . . ولكنني انتقلت بعدئذٍ للعمل في مقر الشركة الرئيسي في لندن. . . أحب كثيراً العمل مع ماكس، إذ له تأثير ملهم على الآخرين. . . أظنك توافقينني الرأي، أليس كذلك؟

- قد أجد كلمات عدة لوصف ماكس، ولكنني لا أرى أبداً أن له تأثيراً ملهماً.

- لا أظنك عملت معه أبداً.

فأجابت فريا وهي ترمق ماكس بنظرة شرسة: «إلا إن كنت تقصدين إطاعة أوامره وتنظيف المنزل كل خمس دقائق. . .».

راحت كايت تنقل نظراتها بين فريا وماكس ثم علقت ضاحكة:

- أرى أنكما تعرفان بعضكما جيداً.

قال ماكس بنبرة قاسية وهو يقدم كوب العصير لفريا: «جيد جداً».

- بمكنك القول إن ماكس بمثابة أخ لي. . . فمنذ المراهقة وهو يساندني بنقده اللاذع وسخريته اللامتناهية، من دون أن يتوانى عن إحباط ثقتي بنفسي كلما سنحت له الفرصة.

- أظن أن فريا تميل أحياناً إلى المبالغة.

- لن أستمر في هذا النقاش.

أعلنت فريا ذلك بحدة، ليخيم بعدئذٍ الصمت بينهم، صمت حاولت كايت أن تخرقه بلباقة قائلة: «قال لي ماكس إنك توليت الاعتناء بالمنزل خلال وجوده في مبانزير. . .».

www.liilas.com

خطر لفريا أن ماكس بذل جهداً بالغاً ليشرح لها سبب وجودها في شقته. . . ولكن ما الذي يدفعه لتبرير ما يحصل؟ أتراها حبيبته؟

نظرت فريا إليهما وهما جالسان على الكنبة والارتياح بادٍ عليهما. . .

كانت كايت شابة جذابة وذكية، لا تميل إلى العبث والتصرفات السطحية، والنظرات التي يرميها بها ماكس تعكس ما يكنه لها من إعجاب. . .

شعرت فريا بالإحباط وتمنت في قرارة نفسها لو أنها انصرفت في الحال بدلاً من أن تنضم إليهما وتعكر صفو جلستهما الحميمة.

- أين تعملين يا فريا؟

- أعمل في صحيفة Examines .

بدا الاهتمام الواضح على وجه كايت وهي تسألها: «هل أنت صحافية؟».

ليت ماكس لم يكن موجوداً، لتمكنت فريا من الإفلات من هذا المأزق من دون عواقب وخيمة. . . وعلى الرغم من أن عبارة «أعمل سكرتيرة» أخذت تحوم على شفتيها بصورة لا تقاوم إلا أنها قالت لها:

- أعمل في مكتب العلاقات الخارجية كصلة وصل ما بين المراسلين ورؤساء التحرير. . .

وتعمدت الاكتفاء بهذا، متجاهلة إخبارها بأن عملها يقتضي الرد على

الاتصالات الهاتفية والاستماع إلى الشكاوي.

قالت لها كايت: «أرى أن عملك مثير للاهتمام...».

أخذت فريا تفكر بتلك الساعات الطويلة التي تقضيها في فتح البريد، أو ارسال البيانات الصحافية إلى هنا وهناك... ثم أجابت ببرودة:

- نعم، مثير للغاية.

التفتت كايت إلى ماكس وقالت له: «هل سألت فريا عن معارفها؟».

ثم أدارت رأسها نحوها وأضافت محاولة أن تشرح لها مقصدها:

- إننا بحاجة ماسة للتمويل... حاولت أن أقوم بحملة إعلانية أسلط فيها الضوء على طبيعة عملنا، وأطلب من خلالها تأمين الدعم اللازم لنا ولكن محاولاتي باءت بالفشل ولم تلق البيانات الصحافية التي أرسلتها صدىً.

رد عليها ماكس بلهجة ساخرة:

- قلما تهتم الصحف بالمشاريع الصغيرة الناجحة. فالصحيفة لا تتناول إلا قضايا المشاهير وفضائحهم لتتمكن من بيع أكبر عدد ممكن من الأعداد.

قالت له كايت بصوت ناعم: «ولكنها تعرف حتماً بعض الصحافيين».

- إنها على علاقة وطيدة بأحدهم، أليس كذلك يا فريا؟

تجاهلته فريا كلياً وتوجهت بالحديث إلى كايت قائلة: «في الواقع أعرف صحافياً سينتقل قريباً للعمل في انريشيا، وأظن أن عملكم قد يثير اهتمامه... صحيح أنه يعد مقالات لصحيفتنا، لكنه يعمل لحساب شبكة اميركية، ويمكنه أن يؤمن لكم التغطية اللازمة».

أجاب ماكس غاضباً: «لا نحتاج إلى تغطية، بل إلى إثارة تعاطف الناس مع القواضيع المطروحة، وتغيير مواقفهم حيال المشاريع الإنمائية».

قالت له فريا وقد غاب عن ذهنها أنه من المفترض بها تجاهله:

- أيعقل أن يتعاطف الناس معكم إن لم تتوفر لديهم معلومات وافية عنكم؟ من الضروري أن توصل رسالتك إليهم عبر وسائل الإعلام التي

لديك وحدها القدرة على ذلك.

- حسناً، ولكنني لا أحتمل صديقك يبدي اهتماماً بهذا الموضوع، لأنه من النوع الذي لا يتعاطف إلا مع نفسه...

سألتها كايت على عجل، محاولة وضع حد لنقاشهما الحاد: «ما اسمه يا فريا؟».

- دان فرير.

- هل أنت على موعد مع «دان فرير»؟ شاهدته مرة على التلفزيون حين كنت في الولايات المتحدة الأميركية... هل هو وسيم فعلاً؟

- أظن ذلك...

ثم التفتت إلى ماكس وأضافت بخبث: «ما رأيك يا ماكس؟».

أجابها ماكس بنبرة جافة: «إن أمره لا يهمني إطلاقاً!».

- أتغار يا ماكس؟

- حتماً لا.

تأملت فريا هذا المشهد المملوء بالحنان وقلبها يعتصر من الألم... فمن الواضح أن علاقتهما حميمة وإلا لما تجرأت كايت على مداعبته وإغاظته بالغيرة من دان لأنها تجده وسيماً...

وضعت كأسها على الطاولة وهبت واقفة ثم قالت:

- من الأفضل أن أنصرف... أتمنى لكما سهرة ممتعة.

صباح اليوم التالي، تسللت فريا خلسة إلى المطبخ لتعد لنفسها كوباً من الشاي، وهي تدعو لئلا يكون ماكس قد استيقظ من النوم، غير أنها تفاجأت به جالساً على الكرسي في المطبخ يقرأ الجريدة... فنظر إليها وقال بلا مبالاة: «أهذه أنت؟ حسبتك تطيقين إرشادات مجلة كوزموبوليتن مع صديقك...».

صرت فريا على أسنانها، إذ لم تكن في مزاج يسمح لها بالرد عليه... فدعوة البارحة لم تكن على قدر آمالها، لأنها تفاجأت عند وصولها إلى الطعم برؤية معظم موظفي الصحيفة وقد سبقوها ليحتفلوا جميعاً بوظيفة دان

الجديدة. كانت خيبة أملها عظيمة، حين أدركت أن دان لم يدعها لبعض برفقتها لحظات حميمة.

شعرت فريا بالخجل وقد بدا جلياً للجميع أنها بذلت كل ما بوسعها لجذب انتباه دان إليها، شأنها شأن الفتيات الأخريات اللواتي يعملن معها في الصحيفة... لكن النساء، فريا تخطى كل الحدود خاصة أن المدعوين راحوا يرمقونها بنظرات خبيثة، ويتأملونها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها فتمنت لو أن الأرض تنشق وتبتلعها.

وتذكرت عندئذٍ أنها قالت لماكس، بكل اعتداد بالنفس، إن موعد العودة إلى المنزل مرتبط بدان... فسخرت في سرها من نفسها لأن دان لم يحاول مطلقاً أن يعاملهابطريقة مميزة، مع أنه كان رقيقاً للغاية ولم ينس أن يثني على جمالها.

شعرت فريا وكأن عقارب الساعة توقفت عن الدوران. ووجدت نفسها مرغمة على تبادل أطراف الحديث مع الجميع باستثناء دان لتؤكد لهم أنها لا تكترث لأمره مطلقاً.

وخطر لها في إحدى اللحظات أن تدعي أمامهم أنها على موعد مع أحدهم، فتغادر المطعم باكراً، لكنها عادت وبدلت رأيها، لأنها لم تجد مكاناً تذهب إليه... فمن المستحيل أن تعود إلى المنزل لتجد ماكس وكايت جالسين على الكنبة يتبادلان العناق... كيف لها أن تتحمل هذه الويلات كلها دفعة واحدة؟

وكم شعرت بالارتياح حين وجدت الشقة غارقة في ظلام دامس عند عودتها في ساعة متأخرة... فدخلت على مهل من دون أن تحدث صوتاً وخلعت حذاءها، ومرت أمام باب غرفة ماكس المقفل، على رؤوس أصابعها... أترى كايت تمضي الليلة معه؟ لكن السكون يخيم على المكان... وتملكها الإحباط فجأة فأطلقت تنهيدة عميقة واندست في فراشها البارد.

لم تجد أثراً لكايت هذا الصباح، وراحت تتساءل ما إذا غادرت المنزل

باكراً...

ملأت الغلاية ماء ووضعتها على النار ثم راحت تتأمل ملامح ماكس بحثاً عن آثار ليلة الحب العاصفة... إلا أن الهدوء كان يسيطر عليه أكثر من أي وقت مضى، وهو يقرأ صحيفته...

ـ بدأت علاقتي بدان تأخذ منحىً جدياً.

قالت له ذلك بغطرسة، رداً على تعليقاته اللاذعة... فمحال أن تطلعه على حقيقة ما حصل البارحة، في حين أن حياته العاطفية متأججة.

ـ وأظن أنها بعيدة كل البعد عن المصالح الشخصية!

ـ حقاً؟ وعلامَ ترتكز إذن؟ على غروره الشخصي؟

الحقيقة إنها ترتكز على أوهامها البائسة فحسب، ولكنها لن تمنحه الفرصة ليشمت بها ويقول: سبق لي أن حذرتك...

فرفعت ذقنها بكبرياء وقالت له: «على الحب».

ـ الحب؟

قالت غاضبة: «ما الذي تعرفه عن الحب؟».

ـ أكثر مما تعرفينه بكثير، إن كنت واثقة من أن دان فريبر لن ينسى أمرك، حالما تطأ قدماه الطائرة المتوجهة إلى اوزوتو.

ـ أترى أنك مخطىء؟ لقد دعاني لزيارته في افريقيا.

وهذا صحيح نوعاً ما... إذ أكد دان لجميع المدعوين أنه يتوقع منهم أن يقوموا بزيارته في مبانزيزي... ألا يمكنها اعتبار كلامه بمثابة دعوة مفتوحة لها؟

كشّر ماكس ازدراء، وعاد يقرأ صحيفته وهو يقول: «يستحسن أن ترحبي بالسفر لأن عدد المغتربين في اوزوتو قليل جداً، وأظنني أعرف ثلاث نساء على الأقل مستعدات للارتماء في أحضانه لحظة نزوله من الطائرة...».

أجابته وهي تبعد شعرها عن وجهها: «أظنني أثق بدان».

ـ إنك مغفلة حقاً.

ـ وكأنني أحتاج لمن يذكرني بغبائي.

أعلنت فريا ذلك للوسي فيما كانتا تحتسيان القهوة معاً، بعد ظهر ذلك اليوم.

- ألم تكن مصيبتي وحدها تكفيني؟

- لا تأبهي لماكس، فهو متزمت جداً ويكره العلاقات العابرة.

- لا أعتقد ذلك، فقد وجد لنفسه صديقة جميلة.

رفعت لوسي حاجبيها دهشة وهي تقول: «حقاً؟».

- تدعى كايت وتعمل مهندسة مدنية.

- يبدو لي ذلك مثيراً للاشمئزاز.

ثم أضافت وقد بدت ملامح الازدراء على وجهها: «عليّ أن أسأل أمي عنها تعرفها... فحين زارته في تانزانيا منذ سنتين، اكتشفت أن لديه صديقة، وأخبرتني يومها أنها لطيفة جداً، وتمنت لو يتزوجها... ولكننا لم نسمع عنها شيئاً منذ ذاك الحين.

- أظن أنها كايت.

شعرت بانقباض في معدتها وقد تبين لها أن علاقتهما تعود إلى زمن بعيد: «أخبرتني أنها كانت تعمل في تانزانيا».

قالت لوسي وقد بدت الكآبة على وجهها: «أتمنى ألا تكون هي... لا أريد زوجة أخ ذكية إلى حد يجعلني أبدو أمامها بلهاء... لطالما تمنيت أن يرتبط ماكس بفتاة مثلك».

رسمت فريا على ثغرها ابتسامة مصطنعة وهي تقول: «أتفضلينها غبية؟».

- كلا!

وجحظت عيناها وهي تضيف صارخة: «تعلمين جيداً أنني لم أقصد ذلك... ولكني أفضل أن يقترن أخي بامرأة تزرع البهجة في حياته، وتتمكن من وضعه عند حده إن استبد بالآخرين... فأنت تعرفين كم هو صعب المراس».

ومر شريط صور ماكس في ذهنها.

فها هي تراه هنا ينظر إليها وإلى لوسي باستياء، وهما تقهقهان كالمراهقات... وتراه هناك يرميها بنظرات قاسية تثير اضطرابها... وها هو جالس على الكنبة ليلة زفاف لوسي وقد فك ربطة عنقه وتركها تتدلى... مسترسلاً في الحديث عن افريقيا... أو ليس هذا ماكس الذي يضمها إليه بلهف... ولكن لماذا غادر مسرعاً تاركاً فريا وحيدة؟

تركت فريا القهوة في الفنجان، وهي تحدق إلى الرغوة... ثم أرغمت نفسها على الكلام قائلة: «بدا لي سعيداً جداً برفقة كايت».

فأجابتها لوسي: «حسناً... إن كان يحبها فعليّ أن أتقبّلها... على أي حال انسي أمر ماكس وقولي لي ما الذي ستفعله بشأنك أنت ودان».

- لم يعد يربطني به شيء.

وتذكرت فجأة أنه لم يربطها به شيء منذ البداية فأحست بالغثيان...

- وهل سترمين سلاحك بهذه السهولة؟ صحيح أنه لم يهتم بك كما يفعل ليلة أمس، ولكنني أعتقد أنك تعظمين الأمور... هل شاهدته يغادر برفقة أحد سواك؟

- كلا.

- أرأيت؟ أظنه كان يتصرف بلباقة فحسب... فمن واجبه أن يهتم بضيوفه كلهم وليس بواحدة منهم فقط.

- ربما أنت محقة.

وتابعت لوسي كلامها قائلة: «خلال الحفلة، بدا واضحاً أنه يهتم لأمرك... وفي اليوم التالي، دعاك لمرافقته على العشاء... لذا عليك أن تعطيه الفرصة لتتواجدا معاً على انفراد».

وبعد أن أطلقت العنان لأفكارها قليلاً عادت تقول: «أظن أن دان منهمك حالياً في الاستعداد للسفر، ولن يكون بمقدوره أن يهتم بك كما ينبغي... لذا عليك اللحاق به إلى افريقيا حيث لا شيء يلهيه عنك».

قالت فريا وقد استولى عليها التشاؤم:

- أظن أن النسوة اللواتي حدثني عنهنّ ماكس سيختطفنه مني.

www.liilas.com

- كفاك سخافات! فالشمس حتماً لفحت بشرتهنّ وجعّدتها. . . ودان لا يحب هذا النوع من النساء.

- ولكنني لن أتمكن أبداً من ادخار المال اللازم للسفر، لأن بطاقات السفر إلى افريقيا باهظة الثمن. . . أتعلمين أنني أنفق كل أسبوع مبالغ طائلة لشراء أوراق اليانصيب علني أربح مبلغاً يساعدني على السفر؟

ثم أضافت متذمرة: «لا أظن أن أبواب الحظ ستفتح لي يوماً».

- أذكر انني قرأت عن مسابقة للفوز ببطاقة سفر، ولكنني لم أعد أذكر اسم المجلة.

ارتشفت لوسي فنجان القهوة دفعة واحدة، ثم حملت حقيبتها وقالت لفريا: «هيا بنا نلقي نظرة على المجلات».

وقبل أن تسنى لفريا الفرصة لتعترض، وجدت نفسها أمام كشك لبيع المجلات والصحف تقرأ عن مسابقات عدة للفوز بأدوات منزلية ومطبخية، وليس تذكرة سفر.

- ما رأيك بهذا الإعلان؟

التقطت لوسي إحدى المجلات التي ظهرت على غلافها عروس تبتسم ابتسامة متكلفة.

«اربحوا رحلة شهر عسل إلى أي بقعة في العالم».

ثم نظرت إلى فريا وقالت بحماسة: «أظن أننا وجدنا ضالتنا».

- لكن رحلة شهر العسل يقوم بها المتزوجون حديثاً، أليس كذلك؟

- قلما يهمهم إن كنت متزوجة فعلاً أم لا!

- ربما! ولكنهم سيتساءلون حتماً لماذا اكتفيت بتذكرة سفر واحدة وسرير منفرد!

- ما عليك سوى أن تقبلي تذكرتي السفر، وإن سألكم أحدهم، تقولين له إن الزواج ألغي في اللحظة الأخيرة.

ثم تابعت لوسي تقول: «لا أظن أن المشكلة تكمن في إيجاد عريس وهمي، بل بإقناعهم برغبتك في تمضية شهر العسل في مباتيزي. . . فهي بعيدة كل البعد عن الرومانسية أليس كذلك؟

- لست أدري. . . رياح ساخنة تعصف في أشجار النخيل، رائحة جوز الهند وكبش القرنفل تعبق في الهواء، أسرّة خشبية كبيرة تعلوها الناموسيات. . .

توقفت فريا فجأة عن الكلام، وقد لاحظت أن لوسي تنظر إليها بطريقة غريبة.

- من أين حصلت على هذه المعلومات.

- من ماكس! حولت فاريا نظرها عن صديقتها وهي تجيبها مرتجلة:

- أظن أنني سمعت دان يتحدث عن الموضوع.

- في هذه الحالة، لن تجدي صعوبة في اقناع المسؤولين في المجلة. . .

ثم حملت لوسي المجلة ورمتها بين يدي فريا قائلة:

- هيا ادفعي وادفعي ثمنها.

● ● ●

٦ ـ عرس الأحلام

ضمت قريا المجلة إلى صدرها بقلق وهي تنضم إلى صف المنتظرين أمام الصندوق...

سألتها المرأة الواقفة عند الصندوق وهي تبتسم لها ابتهاجاً: «هل أنت مغرمة وعلى وشك الزواج؟».

احمرت قريا خجلاً وأجابت متلعثمة وكأن أحدهم قبض عليها بالجرم المشهود تشتري مجلات فاسقة: «كلا، إنها لصديقة لي».

غير أن ارتباكها هذا لم يخلُ من بعض الفضول إذ راحت تنتظر بفارغ الصبر لحظة تودع فيها لوسي وتستقل الباص، لترتمي في أحد المقاعد وتفتح «مجلة عرس الأحلام».

وما أن وجدت الفرصة ملائمة حتى سحبت المجلة من حقيبتها وراحت تقلب صفحاتها محاولة إخفاء حماستها، والتخفي خلف قناع اللامبالاة..

في الصفحات الأولى من المجلة، لم تجد ضالتها، إذ تمحورت بمعظمها حول سؤال لا يمت إليها بصلة، ألا وهو: «أي نوع من العرائس أنت؟ هل أنت عروس مثيرة؟ أم رومانسية؟ أم كلاسيكية؟» فكيف لها أن تجيب عن هذا السؤال وهي لم تمر بعد بتجربة الخطوبة؟

تنهدت وقد تملكتها الكآبة، ثم رفعت عينيها لتجد أمامها زوجين يبتسمان لها.. لكن هل يبتسمان لها أم يسخران منها؟

أقفلت المجلة على عجل، وأعادتها إلى حقيبتها، وقد احمر خداها

تماماً... كان حرياً بها أن تنتظر لحين وصولها إلى المنزل لتطلع عليها.

في طريق العودة إلى المنزل، توقفت عند المتجر المجاور لتشتري طبق سلطة جاهزة وعلبة لبن قليل الدسم، إلا أنها لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تملأ سلتها بالبسكويت المحشو بالشوكولا، والخيار المخلل... فهل كتب عليها أن تحرم نفسها إلى الأبد من الأطعمة اللذيذة الدسمة، وتجهد جسدها في ممارسة تمارين رياضية لا طائلة ترجى منها؟

وفيما كانت تقف حائرة في قسم الأطعمة المثلجة، شعرت بيد تمسكها بلطف من كتفها..

ـ قريا!

شخص واحد فقط يلفظ اسمها بهذه الطريقة الرقيقة الناعمة! ابتلعت قريا ريقها بصعوبة، وقد تذكرت أنها لم تبذل هذا الصباح أي جهد لتعتني بمظهرها..

ـ مرحباً يا دان.

ـ لم تسنح لي الفرصة البارحة للتحدث إليك.. لكنك لم تغيبي عن فكري.

ثم أضاف وقد ارتسمت على ثغره ابتسامة كسولة:

ـ أظن أنك قضيت وقتاً ممتعاً.

أمعنت قريا النظر إليه، ظناً منها أنه يسخر منها، ولكن ملامح وجهه بدت أكثر جدية من أي وقت مضى.

ـ أتعلمين أنني شعرت بالغيرة؟! فقد حسبتك تتعمدين تجاهلي.. هل هذا صحيح؟

أرادت قريا أن تعلق على كلامه هذا، إلا أنها اكتفت بالقول: «كلا».

نقل دان نظره إلى محتويات سلتها، وكأنه يحاول أن يحكم عليها من خلال ما انتقته من أطعمة. وخطر لها أن دان لن يجد صعوبة في استنتاج أن الطريقة التي اختارتها تناسب تماماً شابة وحيدة تجد في الأطعمة الدسمة عزاءً لها.

سألها مطلقاً العنان لكل ما أوتي من سحر: «هل أنت حرة هذا المساء؟ تلقيت دعوة لحضور حفل توقيع كتاب جديد، ويسرني أن ترافقيني».

ترددت فريا بعض الشيء، وقد خطر لها أن تسأله عن عدد الأشخاص الآخرين الذين دعاهم لمرافقته أيضاً.

إلا أنه أضاف في محاولة منه لاقناعها: «يمكننا أن نتناول بعدها العشاء معاً!».

ثم قال لها إنه سيمر لاصطحابها عند السابعة وغادر المتجر، تاركاً فريا في حيرة من أمرها.. صحيح أن إصرار دان على الخروج معها أرضى غرورها بعض الشيء، إلا أنه أربكها أيضاً.

عند وصولها إلى المنزل، شعرت بارتياح عظيم لأنها لم تجد ماكس فيه، وقررت الاحتفال بهذا الحدث السار، ففتحت علبة البسكويت، وأعدت لنفسها كوباً من الشاي. جلست القرفصاء على الأرض في غرفة الجلوس، حاملة مجلة «عرس الأحلام» بين ذراعيها، وقد تملكها توق شديد للقيام بالرحلة إلى أفريقيا وهي تتذكر نظرات دان الحالمة..

حسناً، أين هي السابقة يا ترى؟

بدأت فريا تقلب صفحات المجلة الواحدة تلو الأخرى وقد أذهلها الكم الهائل من الأفكار المبتكرة، المتعلقة بثوب الزفاف، والصور التذكارية، وتسريحات الشعر، والأحذية، وحتى الحقائب التي ينبغي اختيارها لرحلة شهر العسل.. رباه! لم تخل يوماً أن حفلات الزفاف معقدة إلى هذا الحد!

وجدت فريا نفسها تقرأ كل كلمة جاءت في المجلة بشغف واضح، وفجأة، توقفت مذهولة أمام ثوب من الحرير العاجي والشيفون، مطرز عند الكمين، ثوب رائع الجمال لم تقوَ على مقاومة الرغبة الشديدة في أن تتخيل نفسها ترتديه وتتبختر به.

أغمضت فريا عينيها وراحت تتخيل المشهد! والدها يتأبط ذراعها فخوراً بها، ووالدتها تجلس في الصف الأمامي وتذرف دموعاً غزيرة، ووصيفتاها تلحقان بها في ملابسهما الزاهية.. وأمام المذبح ينتظرها العريس

مبتسماً.. إنه.. لا! ليس ماكس! ما بها لا تحسن اختيار الشخص المناسب حتى في الأحلام؟ كلا، إنه دان من يبتسم لها ابتسامة فاتنة.. ولكنها لن تدخل الآن في تفاصيل الاحتفال.. ارتشفت القليل من الشاي.. وحوّلت اهتمامها إلى حفل الاستقبال.. فهل تقيمه في فندق أم في حديقة عامة، في حضن الطبيعة الخلابة؟ حاولت أن تقلب الصفحات بحثاً عن صور لفنادق ريفية رومانسية: إلا أنها ارتأت في نهاية المطاف أن تقيم الحفل في حديقة عامة، كما جرت العادة، منذ زمن بعيد، في بريطانيا، علها بذلك تثير إعجاب أقارب دان الأميركيين.

قضمت فريا قطعة من البسكويت واسترخت في مقعدها مسترسلة في أحلامها الوردية.. إلا أن صرير المفتاح في قفل الباب أيقظها من أوهامها، فرمت المجلة أرضاً وجلست عليها.

دخل ماكس إلى المنزل حاملاً حقيبته بيده، وقد بدا عليه الإرهاق. نظرت إليه فريا وهي تفكر في أن دان يفوقه وسامة بأشواط إلا أن دقات قلبها تسارع بحدة كلما شعرت بوجوده قربها.

بدأ ماكس بإفراغ الأوراق من حقيبته ثم سألها وهو يرميها بنظرة خاطفة: ما الذي تفعلينه؟».

أجابته بسرعة: «لا شيء... كنت أفكر فحسب».

قال لها بلهجة متسمة بالسخرية: «تفاجئينا.. وكيف تشعرين الآن؟».

ولكن فريا صممت على ألا تقع في مصيدته، فسألته برقة: «ما هذه الأوراق كلها؟».

- إننا نسعى للحصول على هبة من اللجنة الأوروبية لتمويل مشروع إنشاء طريق في مبانزير.. فقد أمضيت وكابت أسبوعاً بكامله نحاول أن نعد التقارير اللازمة لتقديمها نهار الاثنين.. ولكن عليّ أن أعيد التدقيق في الأرقام خلال عطلة نهاية الاسبوع لأتمكن من إعادة صياغة طلب المنح.

ثم التفت إليها وسألها: «هل تحتاجين إلى الطاولة هذا المساء؟».

- كلا، سيمر دان ليصطحبني لحضور حفل توقيع كتاب جديد.. ومن

المفترض أن يدعوني بعدها على العشاء.

شعرت بارتياح كبير وهي تلفظ كلماتها تلك بطريقة طبيعية، لا سيما وأن تعليقاته كانت قاسية جداً هذا الصباح... غير أنها لن تحرمه أيضاً من كرمها فدست المجلة تحت الكنبة ووقفت على رجليها قائلة له: «أتريد كوباً من الشاي؟».

أربكه للوهلة الأولى عرضها هذا إلا أنه تمالك نفسه وقال لها: «نعم، شكراً».

هنأت فريا نفسها في المطبخ لإجادتها التصرف مع ماكس.. إذ لا سبيل لإثارة ارتيابه إلا إذا تجاهلت سخريته وعاملته بتهذيب ودماثة... وخطر لها أن نهارها سينتهي على أحسن ما يرام بعد أن شهد بداية مريعة...

وضعت فريا ابريق الشاي وصحن البسكويت على صينية، ثم حملتها وتوجهت إلى غرفة الجلوس، إلا أنها وقفت في الباب مذعورة، وقد رأت ماكس ممدداً على الكنبة التي دست تحتها المجلة.. لماذا اختار هذه الكنبة بالذات؟

وضعت الصينية على الطاولة الصغيرة، محاولة اخفاء توترها لظهور طرف المجلة من تحت الكنبة... ولحسن حظها أن ماكس لا يستطيع رؤيتها من زاويته، إذ لا يمكنها أن تتخيل رد فعله إن عثر عليها...

سألته، في محاولة منها لالهائه، وهي تصب الشاي: «هل ستحضر كاثي هذا المساء؟».

- كلا، لقد أجهدت نفسها في العمل خلال الاسبوع المنصرم، وعليها أن تنال قسطاً من الراحة.

ارتشف ماكس القليل من الشاي ثم وضع فنجانه على الأرض بقربه، فحبست فريا أنفاسها إذ ارتطمت يده بالمجلة، فحملها بلا مبالاة متسائلاً: «ما هذا؟».

أجابت بسرعة وهي تحاول انتزاعها منه قبل أن يفتحها: «إنها لي».

أدارها ماكس ليقرأ عنوانها، ثم سألها وكأنه لم يصدق عينيه: «هل أنتِ

جادة؟».

وجدت نفسها مرغمة على اتخاذ موقف دفاعي فردت عليه بحدة: «ولِمَ لا؟».

- لا أفهم طبيعة هذه العلاقة.. فالبارحة كنت تطلّعين على إرشادات مجلة كوزموبوليتن، وها أنت اليوم تستعدين لحفل الزفاف.

رفعت فريا ذقنها بكبرياء، وعلقت قائلة: «إنها النهاية الطبيعية للعلاقات الجدية».

نهض من مكانه وهو يقول: «لا تقولي لي إن دان طرح عليك السؤال المنشود؟».

لم تستطع فريا أن تكذب عليه، فاكتفت بالقول: «ليس تماماً».

- ماذا يعني ذلك؟ عليك أن تجيبي بنعم أو لا.

أجابته بغطرسة: «هذا يعني أن الإحساس الذي يجمعنا مميز فعلاً».

- لا أخال دان فريز من النوع الشديد التوق للارتباط.

أبعدت شعرها عن وجهها المكفهر غضباً وقالت: «لا أظنك تعرف دان أكثر مني».

لن تقوى على المضي في دماثتها لحظة واحدة بعد، لأنها تعجز عن التغلب عليه لوقت طويل!

وتابعت كلامها وهي تنتزع المجلة من بين يدي ماكس بقوة: «إن كنت قد انتهيت من سخريتك، فاسمح لي أن أقرأ مجلتي».

استرخت فريا في مقعدها تتصفح مجلة «عرس الأحلام» بهدوء، إذ لم تجد داعٍ للفرار إلى غرفتها والاختباء فيها، خوفاً من نظرات ماكس الهازئة...

قال ماكس وهو يستلقي من جديد على الكنبة: «لم يخطر في بالي أنني قد أتحسر يوماً بالأسف على صحافي.. ولكن قلبي يعتصر ألماً على دان فريز لأن الخطر المحدق بحياته موجود في هذه الغرفة، وليس في البلاد التي تشهد حروباً مدمّرة أو فساداً سياسياً لا حد له...».

تجاهلت فريا كلماته اللاذعة، وانكبت على قراءة مجلتها وهي تصر على

أسنانها من شدة الغيظ؟ فقد أفسد عليها أحلامها الوردية، ولن تجد سبيلاً للتركيز على الأزهار وملابس الوصيفات وهو يرميها بنظرات خبيثة!

تغافلت فريا متعمدة، عن مقالة تتناول أفكاراً عصرية لحفلات الاستقبال، وراحت تقلّب الصفحات بحثاً عن المسابقة التي اشترت المجلة من أجلها. وإذا بها تقع على عنوان كبير، يعلو مقالة تمتد على أكثر من صفحتين، وتضم صوراً خلابة، لمناطق ريفية حالمة وشواطئ فيروزية، وحدائق مشجرة غنّاء... إنها المسابقة المنشودة: «شهر عسل من العمر».

«بعد النجاح الباهر، الذي حققته مسابقة السنة الماضية، حيث حظي الزوجان سيمون وإيلان براد شو، بحفل زفاف يفوق أحلامهما، تقدم لك اليوم مجلة «عرس الأحلام»، وبالتعاون مع وكالة «دريم تايم» للسفر، فرصة للفوز برحلة شهر عسل إلى أي بقعة في العالم... فالزوجان المحظوظان سيفوزان ببطاقتي سفر إلى بلد من اختيارهما، فضلاً عن إقامة مدة أسبوعين في فندق فخم.. ما عليك سوى أن تجيبي عن الأسئلة المدونة في ما يلي وتزودينا ببعض المعلومات عنك وعن خطيبك، مع تحديد الأسباب التي دفعتكما إلى زيارة هذا البلد في مطلع حياتكما الزوجية!».

أعادت فريا قراءة الإعلان ثانية، وقد خيل إليها أن الأمر مجرد مزحة. أصحيح أن كل ما عليها فعله هو الإجابة عن بعض الأسئلة وتدوين بعض المعلومات عن خطيبها الوهمي؟ فهذا ليس بالأمر الصعب لأن لا أحد يجيد تمويه الأمور مثلها... لا شك أنها ستواجه صعوبة في تبرير تخلف خطيبها المزعوم عن رحلة شهر العسل، إلا أنها قررت أن تعالج هذه المسألة في حينه.. المهم الآن، ألا تدع هذه الفرصة المتاحة أمامها للفوز ببطاقة سفر إلى ميالتزير تفلت من يديها.. لذا، عليها أن تبذل قصارى جهدها لتثبت لماكس أنه كان على خطأ، حتى وإن اضطرت للزواج من دان.

لم تجد فريا صعوبة في الإجابة عن الأسئلة المطروحة وانتقلت بعدها للتركيز على السؤال الإضافي.. «لماذا وقع اختيارها على ميالتزير دون سواها؟». أيعقل أن تقول لرؤساء التحرير إنها تريد أن تثبت لماكس أنه على

خطأ؟ كلا! أبداً! عليها أن تجد جواباً أكثر رومانسية...

وبعد تفكير ملي، ارتأت أن تنتقل إلى القسم المتعلق بالبيانات الشخصية، لتعود لاحقاً وتجيب عن هذا السؤال... فدونت اسمها كاملاً وعنوانها، وسنها ومهنتها، ثم توقفت تاركة قلمها يتأرجح فوق القسم المخصص للخطيب.. اسم من تختار؟ استولت عليها رغبة شديدة في أن تدون اسم دان. ولكن ماذا لو تنبّه للأمر أحد العاملين في المجلة واتصل به مهنئاً؟ كشرت فريا اشمئزازاً، وعدلت عن هذه الفكرة لئلا تزيد الأمور تعقيداً... وفيما كانت غارقة في حيرتها، وقد خطر لها أن تضع اسم شخص لا وجود له، سمعت ماكس يقول لها مازحاً: «إن وقعت على مقالة حول أعراض الزفاف الكاذب، فاقرأيه من دون تردد».

فلمعت للحال فكرة خبيثة في رأسها وأجابته بلا اكتراث: «في الواقع، بدأت أجد هذه المجلة مثيرة للإلهام».

وظهر طيف ابتسامة عند طرف ثغرها وهي تدون في الخانة المخصصة للخطيب: «ماكس تورنتون، ٣٣ سنة، مهندس مدني».

•••

ـ أظن أن صديقك ماكس لا يحبني.

أعلن دان ذلك فيما كانا يعبران الشارع نحو سيارته الرياضية الفخمة.

فأجابته فريا بعصبية: «ماكس لا يحب أحداً».

وتابعت تقول في سرها: باستثناء كايت طبعاً.

كانت فريا قد بدأت تستعيد هدوءها بعد أن استولى عليها التوتر خلال الدقائق القليلة الماضية، من شدة خوفها من أن يلمّح ماكس إلى الزواج المرتقب أمام دان... ولكن، على الرغم من التزامه الصمت، لم تشعر نحوه بالامتنان، لأنه بالغ في تصرفاته الفظة، فغادرت المنزل برفقة دان، وغضبها العامر يكاد ينفجر! وأغلقت معها الملف الذي وضعت فيه أوراق المسابقة.

- يؤسفني أنه أساء معاملتك..

اعتذرت منه فريا بلطف، فيما كانت تضع المغلف في صندوق البريد، آملة أن تفوز، لتستمتع برؤية ماكس يشتعل غضباً، وهو يجد نفسه يلعب دور الخطيب الولهان.

- أظنه يشعر بالغيرة لخروجك برفقتي.

ثم أمسك بيدها بحنان وأضاف: «لو كنت مكانه لشعرت حتماً بالغيرة، فأنت تبدين رائعة الجمال هذا المساء».

لم يدع دان دقيقة واحدة تمر خلال السهرة، من دون أن يغدق عليها بعبارات الإطراء، حتى خيل إليها في لحظة من اللحظات أنه يتحدث إلى أحد سواها.

اصطحبها إلى حفل توقيع كتاب جديد، لكاتب لم تسمع عنه من قبل... لكن تبين لها لاحقاً أنه ذائع الصيت، وله اصدقاء كثر من الوسط الاعلامي.

لم تستطع فريا من أن تمنع نفسها من الاحساس بعدم الانتماء إلى هذا العالم، إحساس زادت حدته مع المحاولات الحثيثة التي بذلتها بعض النساء للفت انتباه دان.. غير أن دان لم يحاول حتى أن يرمقهن بنظرة خاطفة. ولو كان ماكس حاضراً لتردد قليلاً قبل أن يطلق العنان لسخريته... ولكنه ما كان ليتردد لحظة واحدة في الإعراب عن ازدرائه للمطعم الذي اصطحبها إليه دان.. وها هي تتخيله وهو يزم شفتيه اشمئزازاً من ديكوره العصري، وأطباقه الفخمة، ويهز رأسه ساخطاً من الاسعار المرتفعة جداً. ولكن ما بها تفكر في ماكس في حين أن دان يمسك يدها على الطاولة برقة، ويرمقها بنظرات ساحرة!؟

قال لها بصوت دافىء عذب: «منذ أن رأيتك في هذا الفستان الأحمر وصورتك لا تفارق خيالي.. يسرني أنك ارتديته هذا المساء، لأنك تبدين مثيرة فيه!».

ما بها قد فقدت شهيتها؟ أهي إشارة حسنة أم سيئة؟ عليها أن تطرد

صورة ماكس من رأسها وتحاول أن تركز اهتمامها على دان... غير أن ذلك لم يتطلب منها جهداً كبيراً لأن وسامة دان الطاغية لا تضاهى، وابتسامته المشرقة تأسرها، وصدره الرحب يشعرها بالدفء والحنان...

قال لها برقة: «هيا بنا».

ولف ذراعه حول خصرها وهما يتوجهان إلى السيارة، فسرت رعشة على طول عمودها الفقري إذ أدركت أن دان لن يدعها تعود إلى المنزل قبل أن يغرقها في بحر مشاعره الجياشة.. ولم يكن عليها أن تنتظر طويلاً، إذ ما إن صعدا إلى السيارة حتى أخذها بين ذراعيه وعانقها فاستجابت بشوق جارف.

غير أن سعادتها لم تدم طويلاً، لأن رنين الهاتف الخلوي قطع سحر هذه اللحظات المحمومة.. فتحول دان بلمح البصر، من عاشق ولهان إلى مراسل صحفي لا يعرف التلكؤ، تاركاً خيبة الأمل تعتصر فؤادها...

سمعته يردد على الهاتف:

- نعم.. نعم.. نعم.. متى تقلع الطائرة التالية؟ متى؟

ونظر إلى ساعته وهو يضيف قائلاً: «سأحاول الوصول في الوقت المناسب.. دع تذكرة السفر عند مكتب الاستقبال».

وأقفل الهاتف وانطلق بسيارته ينهب الطريق نهباً، ثم قال لها:

- علي أن أسافر الليلة يا عزيزتي.

- لماذا؟ ماذا حصل؟

- وقع انفجار في منجم للماس في زامبيا، وعليّ أن أسافر هذا المساء لأجمع المعلومات اللازمة.

وتابع يقول وهو يتجاوز الضوء الأحمر بلا اكتراث:

- هل يمكنك أن تستقلي سيارة أجرة للعودة إلى المنزل؟

ثم نظر إلى ساعته مجدداً وأضاف بلهجة تدل على الندم:

- أكره أن أفعل بك هذا، ولكن عليّ أن ألحق بالطائرة..

- طبعاً! لا عليك!

وهل ترك لها خياراً آخر؟ لكن تبين لها لاحقاً أن خيبة أملها ترافقت مع إحساس مخز بالارتياح.

- أنزلني هنا وسأتدبر أمري.

- هل أنت واثقة؟

قال لها ذلك وهو يتوقف جانباً، ويميل نحوها ليفتح لها الباب قبل أن تغير رأيها.

- أشكرك على تفهمك.

ثم لوّح لها بيده قائلاً: «سأتصل بك لاحقاً، اتفقنا؟».

ولم تمض لحظات حتى وجدت فريا نفسها واقفة على الرصيف وقد توارت سيارة دان في الظلمة.. نظرت حولها، وهي عاجزة عن تحديد موقعها.. كان الهدوء يعم المكان، ولا أثر فيه لسيارة أجرة فوجدت أن من الأفضل أن تنتقل سيراً على الأقدام إلى الشارع التالي، علّ الحظ يحالفها وتلتقي بأحد يدلها على وجهتها الصحيحة أو تجد سيارة أجرة.. وتذكرت فجأة أنها نسيت حقيبتها في السيارة وهي تسرع بالنزول منها.. فكيف ستتمكن من الخروج من هذه الورطة، وهي تائهة في بقعة نائية، من دون مال؟..

حاولت أن تخفف عن نفسها فصرخت قائلة: «لا تقلقي يا فريا وانظري إلى الجانب المشرق للأمور!».

وإذا بصوت الرعد يتناهى إلى مسمعها منذراً بهطول الأمطار التي ما لبثت أن تساقطت بغزارة لتلسع قطراتها وجهها، وتتغلغل في شعرها ثم تتسلل باردة إلى جسمها.

- ممتاز!

قالت فريا ذلك، وهي تتنهد بيأس، وقد شعرت بأنها أشبه بفأر عالق في مصيدة. خطر لها أن تومئ لسيارة أجرة وتحاول إقناع سائقها بأن يقلها إلى المنزل... ولكن أين تراها تجد سيارة أجرة؟ فخلال سباقه مع الوقت للحاق بالطائرة، عبر دان الشوارع الغارقة في ظلام دامس بسرعة قصوى،

حتى أنها ضلت الطريق الصحيح.. ولعل أكثر ما زاد الطين بلة، هو فستانها القصير الذي لم يقها من موجة البرد الفاجئة، فأخذت ترتجف وهي تئن من الوجع الذي ألمّ بقدميها، من الكعبين العاليين اللذين لا يصلحان أبداً للمشي.

قطعت فريا مسافة طويلة سيراً على الأقدام، فلم تصادف عابر سبيل أو سيارة، وكأن الجميع وجدوا مكاناً يختبئون فيه من المطر الغزير.

وفجأة، لمحت مقهى صغيراً، فأسرعت تدفع الباب لتدخل، ولكن صاحب المقهى صرخ في وجهها قائلاً: «المكان مقفل».

وإذا بها تنفجر باكية وقد بلغ منها الإحباط مبلغاً، فأشفق الرجل على حالها، وأسرع يعد لها كوباً من الشاي الساخن، ويحمل إليها الهاتف الخلوي لتتصل بذويها..

حملت فريا الهاتف بين يديها المرتجفتين، وحاولت أكثر من مرة أن تطلب رقم المنزل، ولكن من دون جدوى... تبذل جهدها لتتمالك أعصابها، وتعاود الكرة من جديد.. وإذا بصوت (ماكس) يصلها عبر الهاتف هادئاً، فشهقت بالبكاء، وراحت تشرح له ما حصل بصوت متقطع، مرتجف، ثم أنهت كلامها قائلة بنبرة حزينة: «أردت التأكد من وجودك في المنزل لتفتح لي الباب وتقرضني المال لسيارة الأجرة».

توقعت فريا أن ينفجر ماكس غاضباً إلا أنه اكتفى بسؤالها: «أين أنت؟».

استعلمت فريا من صاحب المقهى عن اسم الشارع والمقهى، وأعطتهما لماكس، فقال لها: «ابقي حيث أنت، فأنا آتٍ إليك».

- ولكن لا داعي..

ولم ينتظر ليسمع ردها، بل أقفل الخط بسرعة تاركاً فريا في حالة من الذهول الشديد...

وصل ماكس إلى المقهى بعد حوالى عشرين دقيقة ليجدها جالسة على إحدى الكراسي، حاملة في يدها كوباً من الشاي الساخن.. لم تشعر فريا

بوجوده إلى أن أومأ صديقها الجديد برأسه نحو الباب وسألها:

- أهذا هو صديقك يا عزيزتي؟

استدارت فريا فالتقت عيونهما لتتحرك معها مشاعر عفيفة، جارفة، غريبة.. سرت الحرارة في أوصال فريا وازداد احمرار خديها وقد أدركت أن عينيه تحولتا إلى فستانها الأحمر الذي بلله المطر فالتصق بجسمها مبرزاً مفاتنها.

أخذت فريا تحدق إليه وكأنها تراه للمرة الأولى، إذ كان يرتدي سروالاً باهت اللون، وسترة بالية، ويحمل بيده مفتاح سيارته، وقد تطلب غضباً وظهرت في عينيه تعابير غريبة، امتزج فيها القلق والسخط.

مشى ماكس نحوها بخفة، فقاومت رغبتها الشديدة في الارتماء بين ذراعيه. فلو كان حبيبها، كما ظن صاحب المقهى، لأسرعت إليه وألقت بنفسها على صدره.. لكنه ليس حبيبها، وعليها أن تشعر بالخجل من هذه الأفكار التي تراودها.

شكر ماكس صاحب المقهى، ودفع له مبلغاً من المال لقاء اهتمامه بها، ثم قال لها: «هيا بنا إلى المنزل».

بدت سيارته المتوقفة أمام المقهى بسيطة جداً مقارنة بسيارة دان الفخمة.. وتذكرت فريا وهي تخرج من المقهى برفقة ماكس، كيف لف دان ذراعه حول خصرها، وهما يتوجهان معاً إلى سيارته.. ولكن ماكس لم يحاول أن يلمسها مع أنها كانت تتحرق شوقاً للمساته، فسمعت دقات قلبها المتسارعة، وأنفاسها المتقطعة.

سارت فريا إلى جانبه وصورة عناقهما الذي جعل البهجة تكتسحها منذ ست سنوات لم تزل في ذهنها، وتذكرها بدفء ذراعيه، فسرت قشعريرة في جسمها..

- إنك سترتجفين من البرد.

وخلع ماكس سترته وألقاها على كتفيها، فانتظرت حتى صعدت إلى السيارة لتلفها حولها بلوعة، وتشعر بحرارة جسمه على ذراعيها العاريتين.

- آسفة.

- لا داعي للاعتذار.

- تبدو غاضباً.

رماها بنظرة خاطفة وقال: «لست غاضباً منك بل من دان فريز... لا أصدق أنه تركك في هذه الحالة المزرية».

- لكنه لا يعلم أنني نسيت حقيبتي في سيارته.

بدا فكه قاسياً وهو يتوقف عند الضوء الأحمر.

- كان عليه أن يتأكد من وصولك سالمة إلى المنزل.

- الذنب ليس ذنبه.. فالطائرة كانت ستقلع من دونه.

- طبعاً! السبق الصحفي! ألم يكن بوسعه أن يؤجل سفره إلى الغد؟ أم أن عمله أهم شيء في حياته؟

فضلت فريا أن تلتزم الصمت فيما استمرت الأمطار الغزيرة بالهطول، مغرقة الشوارع بالمياه..

ولكن ماكس خرق جدار الصمت الذي ساد بينهما لبعض الوقت وقال: «آسف، لم أقصد أن أنفس غضبي عليك.. فاللوم لا يقع عليك إن كان دان أنانياً ومشهوراً».

- لا أجده أنانياً بكل معنى الكلمة، لكنه يولي عمله أهمية كبرى.

- ولكن ألا تعتقدين أن ثمة أمور أكثر أهمية من ذلك؟

ثم أضاف بنبرة رقيقة: «آسف، اعلم أنه لا يجدر بي أن أتحدث عنه بهذه الطريقة أمامك.. فالألم الذي سببه لك حبيبك هذا المساء يفوق الوصف».

كادت تقول له إن دان ليس حبيبها ولكنها عدلت عن هذه الفكرة.. فكيف تقول له ذلك وقد ألمحت بعد ظهر اليوم إلى زواجها المرتقب؟ فإن تراجعت الآن عن كلامها، ستبدو سخيفة في نظره.

هزت فريا كتفيها بلا مبالاة وأشاحت بوجهها بعيداً عنه، وهي تقول:

- لا تقلق بشأني.. على أن أعتاد هذه الأمور إن كنت أنوي المضي قدماً

في علاقتي بمراسل صحفي، غير أن الدرس الأول كان قاسياً عليّ بعض الشيء.

لمعت السخرية في عينيه القاسيتين ثم قال لها بنبرة جافة: «أظنك على حق».

* * *

www.liilas.com
كوكا الحلوه

١٠ ـ لعبة خطرة

عقب وصولها إلى المنزل، أعلن ماكس صراحة عن رغبته في معالجة المسألة.. وإذ تبين له أن فريا لم تحتفظ برقم هاتف دان الخلوي اتصل بمطار هيثرو، وطلب استدعاء دان من قاعة الانتظار ليتحدث إليه.. وعندما عادت فريا إلى غرفة الجلوس بعد أن أخذت حماماً ساخناً، وارتدت ملابس نظيفة دافئة، سمعته يوبخه بشدة.

ناولها ماكس سماعة الهاتف: «يريد التحدث إليك».

ثم أضاف بصوت منخفض: «عليك أن تجعليه يدرك خطأه».

ـ آسف جداً يا عزيزتي.

اتسمت لهجة دان بالندم وهو يكلمها:

ـ هاجمني ماكس بعنف ولم يتوانَ عن وصف تصرفاتي بالدنيئة.

ـ لا أرى أن الموضوع يستأهل هذه الجلبة كلها.

صرخ ماكس من الخلف، فيما كان يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً: «لا بل إنه يستأهل أكثر من ذلك».

سألته بسرعة: «هل عثرت على حقيبة يدي؟».

ـ نعم وسلمتها إلى مكتب تسجيل الحقائب.. فالوقت داهمني ولم أجد أمامي حلاً آخر. على أيّ حال، أعلمت ماكس بالأمر ووعدني أن يصطحبك غداً لاستعادتها.. ألا تجدين أنه يبالغ في حمايتك بعض الشيء؟

ـ إنه بمثابة أخ لي.

شعرت فريا بالانزعاج من هذه الفكرة فأدارت رأسها بحثاً عنه، لكنها

ستعامله ببرودة وجفاء، ليتأكد من أنها لا تبغي اشعال فتيل العواطف الجارفة من جديد.. فمشاغله كثيرة ولا شك أنها اضاعت وقته بما فيه الكفاية.

نظرت قربا إلى الأوراق على الطاولة حيث كان يعمل مساء البارحة قبل تصرافها، فأحست بعقدة الذنب تجاهه، وقالت له بنبرة تدل على ندمها العميق: «آسفة لأنني اضعت وقتك هذا الصباح».

فأجابها بلا اكتراث: «لا عليك».

- ولكن الأعمال تراكمت عليك...

- ليس الأمر سيئاً إلى هذا الحد. فكل ما عليّ فعله هو التدقيق في الأرقام ومن ثم أعيد صياغة طلب التمويل.

سألته قربا مترددة: «هل تسمح لي بمساعدتك؟ فإن دققنا سوياً في الأرقام، انجزنا العمل بسرعة».

بدت علامات التردد على وجه ماكس، إلا أنه رضخ في نهاية الأمر لرغبتها قائلاً: «حسناً، شكراً لك».

أعدت قربا القهوة ووجبة طعام خفيفة، ليتمكنا من تناول الغداء وهما يعملان.

سألته وفمها ملآن بالجبنة: «ما هي طبيعة عملك في مبانزيرا؟».

أجابها وهو يراجع الملفات: «إننا نعمل على مشروع لوصل القرى النائية بالطرقات العامة المؤدية إلى أوزوتو».

وتابع يقول من دون أن يرفع نظره عن أوراقه: «تتطلب صيانة هذه الطرقات مبالغ طائلة، لأنها في حالة يرثى لها. لذا، نحاول التعاون مع الهيئات المختصة لتحديد الطرقات التي ينبغي ترميمها بالاعتماد على الموارد المحلية».

ثم نظر إليها مبتسماً وقال:

- أعلم أنني كلما تحدثت عن مشاريعي، يخيل للسامع أنني ألقي محاضرة، ولكنني أريدك أن تعلمي أن هذا المشروع الشامل حظي في الماضي

بدعم الحكومة، لكنها لم تعد تملك المال اللازم لتنفيذه. لهذا السبب لم نجد أمامنا حلاً آخر سوى اللجوء إلى الوكالات الدولية لدعم التطور.

تناول ماكس بعض الخبز والجبنة وتابع كلامه قائلاً:

- قبلت هذه الوكالات تقديم الدعم المالي اللازم لنا، ولكنها رفضت القيام بأي خطوة قبل أن نحدد لها التكاليف.. وكنت قد بدأت العمل على تنفيذ مسح شامل حين وقع الانقلاب، فوجدت نفسي مرغماً على التخلي عن كل شيء، قبل أن أتمكن من وضع أرقام دقيقة.. لذا، قررنا أن نبني دراستنا على مشروع مماثل انجزناه في تانزانيا.

وأعطى قربا ورقة خاصة بالميزانية وأضاف: «هذه هي الأرقام التي ينبغي علينا التدقيق فيها».

لم يتطلب ذلك منهما وقتاً طويلاً وكان ماكس ممتناً لها أشد الامتنان، فشكرها قائلاً: «شكراً لك، فمن دونك لما أنهيت العمل في هذا الوقت القصير».

غير أن حديثه عن المشروع بقي عالقاً في ذهنها، فسألته: «هل أنت متأكد من أن الحكومة الجديدة ستوافق على انجاز المشروع؟».

- كلا.. عليّ أن أعود إلى مبانزيرا وأتقدم من جديد بطلب للحصول على الرخص اللازمة.. غير أن ذلك مستحيل قبل أن يستقر الوضع نهائياً. كما أعتقد أن الحكومة الجديدة ستظهر تحفظها حيال كل شخص تعامل مع الحكومة السابقة.. ولكنها ستدرك في نهاية المطاف منافع هذا المشروع.

ثم تابع يقول: «لا شك أن المساعي المبذولة لإعادة إحياء القطاع السياحي ستلقى استحساناً عندهم. من الصعب الحصول حالياً إلا على تأشيرة سفر سياحية مدتها لا تتجاوز الاسبوعين.. ولا أجد، شخصياً، أي فائدة من تبذير الأموال، ذهاباً وإياباً إلى مبانزيرا، متنكراً بزي سائح».

نظرت قربا إلى كومة الأوراق على الطاولة وقالت: «الهدف إذن من هذا التقرير، هو الحصول على المال اللازم لانجاز المشروع».

اطلق ماكس ضحكة رنانة أضفت على وجهه المزيد من الاشراق، ثم

قال: «كلا، لأن الدعم الذي تطالب به يكفي لتغطية التكاليف الأولية فحسب، فالمشاريع الصغيرة كتلك التي تعمل عليها، تتطلب نضالاً مستمراً للحصول على التمويل اللازم.. وهنا يأتي دور كايت..».

طبعاً كايت.. كيف غابت عن ذهنها طوال هذا الوقت!؟

ـ تقوم كايت بعمل رائع في ما يختص بالحملات الاعلانية. ولكن نشر الوعي بين الناس ليس بالمهمة السهلة، خاصة وأن المشاريع الإنمائية لا ترتكز على إثارة مشاعر الناس.. إلا أنني لا أجد أحداً أكثر كفاءة من كايت لتأمين المال اللازم لها.

وانفجر ثغره عن ابتسامة حنونة وهو يضيف: «إنها تملك المؤهلات اللازمة لتحويل القضايا المستحيلة إلى نجاحات باهرة!».

ـ قالت لي لوسي إنك تعرفت إليها في تانزانيا.

بدا الذهول على وجه ماكس وهو يقول لها: «لم أعلم أن لوسي على علم بأمر كايت، ولكنها محقة. التقيت بها هناك منذ قرابة السنتين».

ـ تبدو لي لطيفة.

ـ نعم إنها امرأة مميزة.

وأضاف بنبرة حملت في ثناياها الكثير من الشغف: «لم أقابل في حياتي امرأة مثلها ذكية، وجذبة. لا يعرف الرياء والتصنّع طريقهما إليها... ولعل أكثر ما يعجبني فيها مثابرتها ورفضها الاستسلام مهما حصل».

عبارات بسيطة جداً كانت كافية لتجعل نوريا تدرك مدى غيابها... إذ لا يعقل أن ينحدث أحد عنها بهذه الطريقة، هي ليست من النوع الثابر. وكلما قررت القيام بشيء ما، أحبطت عزيمتها سريعاً.. الحمية.. التمارين الرياضية.. وكل شيء.

انتهت نوريا ما تبقى من سندويش الجبنة وقد تملكها الإحباط. ولم تشأ أن تسمع المزيد عن كايت، فسألته في محاولة منها لتغيير الموضوع:

ـ هل ستعود إلى مبانزير للاشراف على المشروع إن حصلت على الدعم المالي اللازم؟

ـ أتمنى ذلك من كل قلبي، لأنني أحب تلك البلاد.. صحيح أن أوروبا لا تختلف عن سواها من المدن، إلا أنني كنت أقضي معظم وقتي في القرى، حيث أحب أن أتنزه ليلاً وأصغي إلى أصوات الشجيرات، وأتأمل بلاج الفجر..

كان ماكس ينظر إلى نوريا وهو يتكلم، من دون أن يراها فعلاً، وكأن صورة تلك المناطق الهادئة الجميلة قد تراءت أمام عينيه.

ـ يبدو لي أنها بلاد جميلة.

ـ ليس تماماً.. إنها بلاد متخلّفة ويستحسن ألا تعلقي أبداً في مصيدة الدوائر الحكومية لأنك لن تتمكني أبداً من الافلات منها.. كما أن الحر الخانق يكون في بعض الأحيان، شديد الوطأة.

ـ ولكنك تستطيع أن تقصد شاطىء ولارو ساعة تشاء.

ضاقت عيناه دهشة وسألها: «من أخبرك عن شاطىء ولارو؟ أهي لوسي؟».

ـ كلا، أنت!

وتابعت تقول من دون أن ترفع نظرها إليه: «أتذكر ليلة عيد ميلاد لوسي الواحد والعشرين؟».

ساد صمت عميق بينهما لا يعكر صفوه إلا تردد الذكريات. أتراه يذكر الليلة الغريبة التي جمعت بينهما تلك الليلة، والأحاديث الممتعة التي تبادلاها، واللحظات الحميمة التي أمضياها معاً..؟

قال لها ماكس بنبرة جافة خالية من أي تعبير: «أجل، تلك الليلة..».

ابتلعت نوريا ريقها بصعوبة وهي تقول: «قلت لي يومها إنك تلجأ إلى الساحل هرباً من الحر الشديد، وتنزل في فندق صغير مجاور للشاطىء، وتأتي العصير للعشاء، وتأكل سندويشات لحم السرطان مع صلصة المايونيز... أتعلم أنني أتحرق شوقاً لتذوق هذه السندويشات؟».

ـ إنها لذيذة جداً.

ما الذي جرى لها لتأتي على ذكر تلك الليلة؟ فها أنّ سيل الذكريات يتدفق بغزارة في نفسها.. عناقه.. دفء ذراعيه.. كلماته المعسولة.

بحثت عيناها الخضراوان عن عينيه فقرأت فيهما لهفة جعلت النار تسري في شرايينها.. غير أن ماكس أشاح وجهه بسرعة وهو يقول:

ـ سأعطيك عنوان الفندق لتنزلي فيه عندما تسافرين لزيارة دان.

كادت للوهلة الأولى أن تسأله من هو دان.. وشعرت بالغرابة لأنها تتذكر كل ما حصل بينهما منذ ست سنوات بأدق التفاصيل، في حين أنها نسيت لبضع دقائق حاضرها كله. سواء لجهة علاقتها بدان أو لجهة عزمها على ألا تجد في (ماكس) إلا الأخ الأكبر سناً منها.

قالت له وهي تبعد شعرها عن وجهها: «إنها فكرة رائعة!».

ثم أضافت وهي ترفع الصحون عن الطاولة: «سأدعك لتنهي تقريرك التمهيدي».

ما الذي أصابها؟ أنسيت أن دان فرير فارس أحلام نساء الكون، قد عانقها هي فريا كينغ؟ حريّ بها أن تطير فرحاً، وتضجر الجميع بالحديث عن دان!

وعوضاً عن ذلك تقوقعت في سريرها وقد جافاها النوم، تصغي إلى الصرير في غرفة ماكس. أرهفت السمع، علّها تتبيّن ما إذا كان وقع الخطوات يعود لشخص واحد أم لاثنين.. أليس هذا صوت كايت أم أنه صوت الراديو؟

أثارت هذه الفكرة اضطرابها.. ففي الأونة الأخيرة لم تكن تلتقي ماكس إلا نادراً وكأنه يتحاشى الاصطدام بها. لكن تدهور الأوضاع السياسية في العالم، وازدياد نسبة الكوارث الطبيعية فيه، أدى إلى انشغالها النهار بطوله بإعداد التقارير والبيانات الصحفية، من دون أن يتاح لها الوقت للتفكير في ما حصل بينهما. من جهته، كان دان يقوم بجولة حول العالم؛ فبعد أن قدم تقارير صحافية لا مثيل لها من زامبيا، تنقّل ما بين جنوب أفريقيا، وانغولا ونيجيريا واثيوبيا ليتوجه بعدها إلى سيراليون..

وكلما اتصل بها ليعلمها بمكانه، غمرها بكلماته المعسولة وحديثه العذب، حتى بات من الصعب عليها ألا تبادله حماسته، لا سيما إن كان ماكس خارج المنزل ولا يصغي إلى أحاديثهما. وعندما أخبرها دان أنه استقر أخيراً في اوزوتو وألح عليها لتقوم بزيارته عندما تسنح لها الفرصة، وجدت نفسها تعده بذلك.

بعد مرور ثلاثة أسابيع على سفر (دان)، رن جرس الهاتف في مكتب فريا، فرفعت السماعة وأجابت قائلة: «مكتب الأخبار».

ـ هل أنت فريا كينغ؟

ـ نعم

ـ ادعى ايما كارتر، وأعمل في مجلة «عرس الأحلام».. أظنك عرفت سبب اتصالي بك.

نظرت فريا إلى السماعة مشدوهة وقالت: «كلا».

اجابت ايما على الفور، وقد أثار رد فعل فريا ذهولها:

ـ بشأن مسابقة رحلة شهر العسل؟

ـ آه! طبعاً!

لا شك أنها نسيت أمر المسابقة لشدة انهماكها بالعمل.

ـ يسرني أن أبشرك بفوزك بالجائزة الأولى.. لقد ربحت بطاقتي سفر إلى اوزوتو في السابع والعشرين من شهر حزيران، فضلاً عن إقامة أسبوعين في فندق «اوشين فيو» في ولارو... تهانينا الحارة لك ولماكس!

* * *

ـ ما الذي سأفعله؟

نهضت فريا وهي تنظر بعينين حائرتين إلى بيل ولوسي اللذين حضرا إلى المنزل، فور استدعائها لهما لحضور اجتماع طارىء.

حدّقا إليها مذهولين، ثم قال لها بيل: «ماذا تقصدين بكلامك هذا؟ الأمر غاية في البساطة، عليك أن تقبلي الجائزة».

- ولكنها تريد أن تجري مقابلة معي ومع ماكس صباح السبت؟
- وأين المشكلة؟ قولي لها إن ماكس اضطر للذهاب إلى المكتب، وخذي منها بطاقة السفر واشكريها نيابة عنه.
- وكيف سأجعل ماكس يغادر المنزل؟
قال لها بيل: «سأدعوه لتناول فنجان من القهوة».
- أتظنه سيقبل بهذه السهولة؟
- لا عليك، سنجد طريقة لإقناعه.. المهم هو أنك فزت بالمسابقة، وستذهبين لزيارة دان في أفريقيا.. فلمَ لا أراك سعيدة؟
هذا صحيح.. لم لا تغمرها البهجة؟
- لأنني لا أجد مخرجاً من هذا المأزق.. فتلك المدعوة ايما، طلبت مني صورة لنا معاً.. إذ يبدو أنهم بصدد إعداد مقال مفصل عن قصة حبنا الرومانسية.
قالت لها لوسي: «خطرت لي فكرة جيدة».
نظرت فريا إليها بحذر.. فعلى مر السنين، تعلمت ألا تثق كثيراً بأفكار لوسي.
- وما هي؟
- سأدعوك أنت وماكس وماركو وبيل على العشاء في منزلي، وأطلب من الجميع ارتداء ملابس رسمية حتى يخال لكل من يرى صورتكما أنه حفل خطوبتكما.. ثم أتذرع بحجة مقنعة لالتقاط بعض الصور.
سألتها فريا مترددة: «ألن تدعي كايت؟».
- لا أجد داعٍ لذلك.. فهو لم يعرّفني إليها، ولا يمكنني أن أدعوها لوحدي بأنها صديقته.
إنها محقة.. فمن يدري؟ لعل علاقتهما ليست جدية إلى هذا الحد.
- أظن أن الخطة قد تنجح.
- طبعاً.
عضت فريا على شفتها السفلى.. بيل محق بكلامه.. ما بها تفسح

المجال للوساوس، بدلاً من أن تدع الحماسة تغمرها لفوزها بالمسابقة؟
- ماذا لو قرأ ماكس المقال؟
- لا أتخيله أبداً يقلب صفحات مجلة «عرس الأحلام».
- ألا يجدر بي أن أخبره بما فعلت؟
- قطعاً لا.. لأنه سيتخذ موقفاً عدائياً منك.. فأنت تعرفين طباعه جيداً.
وأضافت لوسي بإلحاح: «إنها فرصتك لتحققي حلمك بالارتباط بدان.. ألم تخبريني أنه دعاك لزيارته في أفريقيا؟ فكيف يمكنك التخلي عن الجائزة من أجل ماكس؟ إن أردت أن تعوضي عليه، فقدمي له البطاقة الأخرى هدية، ولكن بعد أن تحصلي عليها.. فإن علموا في المجلة أن رحلة شهر العسل مجرد خدعة، سيحرمونك حتماً من الجائزة.. أهذا ما تريدينه فعلاً؟».
- كلا!
في طريق العودة إلى المنزل قررت فريا ألا تخسر الجائزة، مهما كلف الأمر.. فهي تريد السفر إلى أفريقيا لموافاة دان.. الردود والوسيم الذي يصف تصرفها هذا بالشجاع.. وحده ماكس سينظر إليها باشمئزاز بالغ.. ها هي تتخيله يخبر كايت عن مطاردتها المثيرة للشفقة لدان.. فكايت هي المرأة الوحيدة الذكية والمثيرة، والخالية من الرياء في نظره، في حين أن فريا ترمي سلاحها من دون مقاومة.. ولكنها لن تستسلم هذه المرة، وستمضي قدماً في عزمها على السفر إلى أفريقيا مهما صادفها من عوائق.
استمرت الاثارة في داخل فريا منذ بدأت تستعد لحفل العشاء، ولكنها انتبهت في ما بعد إلى أنه مجرد حفل عشاء مع أصدقائها وشقيق صديقتها!
فما الداعي لهذه الجلبة كلها؟ المشكلة هي أنها كلما تذكرت الخطة التي رسموها، وتخيلت رد فعل ماكس عليها، شعرت بانقباض في معدتها، وتمنت لو أنها لم تدع بيل ولوسي يقنعانها بذلك، لا سيما وأن ماكس أبدى امتعاضه من هذا العشاء.

فقد سألها بعد أن دعت أخته للعشاء وطلبت منه ارتداء بذلة رسمية:
- لماذا دعتنا نهار الأربعاء إلى عشاء رسمي؟
- لعلها تريد أن ترانا متأنقين فحسب.
- أظن أنها فكرة جيدة، لا سيما أنها لم تكن تخلع السراويل الفضفاضة في مراهقتها.
- ألا تظن أننا تخطينا سن المراهقة منذ زمن بعيد؟
- بلى، أظن ذلك..
وقفت ثريا في غرفتها حائرة.. أتعقص شعرها إلى الأعلى أم تتركه منسدلاً على كتفيها؟ فإن عقصته بدت أكثر اتزاناً وإن أبعدته عن وجهها بواسطة مشبك، سيعود ليتدلى على وجهها ويزعجها..
علا صوت ماكس من غرفة الجلوس يناديها صارخاً:
- ثريا.. وصلت سيارة الأجرة.
- أنا قادمة!
وجدت ثريا نفسها مرغمة، وقد داهمها الوقت، على ترك شعرها الكثيف منسدلاً ليتشكل مع فستانها الأحمر المثير، مزيجاً يبهر العينين.
نظرت إلى صورتها في المرآة فراق لها ما رأته، وقد أحست أن كل ما فيها ينبض أنوثة ورقة.. فانتعلت حذاءها ذا الكعبين العاليين الذي بات رفيقها المفضل في السهرات، خلافاً للأحذية الأخرى المرتبة في أسفل خزانتها، فأبرز جمال ساقيها النحيلتين.
- ثريا!
- إني قادمة!
حملت ثريا حقيبة يدها على عجل وتوجهت إلى غرفة الجلوس حيث كان ماكس ينتظرها بنفاد صبر مرتدياً بزته السوداء الرسمية.
على الرغم من نظرات الاستياء التي راح يرميها بها لتأخرها، بدا ماكس في بذلته، بهي الطلعة، وسيماً بشكل مدمر يخطف الأنفاس.
ليلة عيد ميلاد لوسي الواحد والعشرين ارتدى ماكس أيضاً بذلة رسمية

سوداء.. تذكر ثريا جيداً أنه جلس بقربها على الكنبة البالية، وقد خلع سترته وحل ربطة عنقه.. لم يكن يومها قد مضى وقت طويل على عودته من افريقيا. وكانت ملامح وجهه التي لوحتها الشمس، شديدة السمرة..

* * *

- تبدين رائعة يا ثريا!
رحبت بها لوسي على باب المنزل بلهجة قوية. ثم أدارت رأسها نحو شقيقها وسألته: «ألا تبدو جميلة؟».
فأجابها باقتضاب: «ظريفة جداً».
صحيح أن ماكس انزعج لتأخرهما عشر دقائق عن موعد العشاء، إلا أنه استاء أكثر حين تمتمته في سيارة الأجرة بالتحفظ الهوس بالحفاظ على دقة المواعيد. لذا لم تتوقع أن يخاطبها بعد شجارهما السخيف في السيارة، لو أن طرى عليها بجفاء، فبدا لها وكأنه نطق بتلك العبارة تحت تهديد السلاح.
رنت ثريا قلقها ودخلت إلى المنزل باعتداد، فانهال عليها الرجال الثلاثة في المطبخ بوابل من الاطراءات خفف من حدة توترها.. نظرت إلى ماكس بتحد، وقد سرها أن تثبت له أن بعض الناس لا يجدونها «ظريفة فحسب».
قالت لها لوسي: «هلا جلست هنا يا ثريا؟».
والتفتت نحو ماكس وتابعت تقول: «اجلس بقربها يا ماكس».
فسألها ماكس وقد بدأ الفضول يتآكله: «ما الذي يجري هنا؟».
- ماذا تقصد؟
- ما هذه الدماثة التي حلت عليك فجأة؟ وما الداعي لارتداء ملابس رسمية سخيفة؟ أظنك تحيكين شيئاً ما..
- بصراحة يا ماكس، لم أقابل في حياتي شخصاً يميل إلى الارتياب مثلك.
ثم أضافت بنبرة عنيفة: «ألا يحق لي أن أستمتع بالعشاء برفقة أشخاص

أحبهم؟».

- ألا يمكننا الاستمتاع بالعشاء ونحن نرتدي ملابس مريحة؟

- كلا، وكفاك تذمراً!

على الرغم من أن هذه البداية السيئة أنذرت بفشل السهرة، إلا أن حماسة بيل المعتادة وسخرية ستيفن المحببة، ساهما في ترطيب الأجواء. فتحررت ثريا من توترها، وأخذت تستمتع بوقتها، ناسية مسألة الصور والمسابقة.

استدارت نحو ماكس فوجدته يبتسم ابتسامة رضى وقد استرخت ملامح وجهه، وبدا جذاباً بشكل لا يقاوم.. فقفز قلبها من بين ضلوعها، وأحست وكأن العالم توقف عن الدوران، تماماً مثلما أحست يوم رأته يدخل من باب المقهى ويتوجه نحوها.. وضعت كوب العصير الذي كانت تحمله على الطاولة، خشية أن تفقد توازنها وتوقعه أرضاً، وقد عجزت عن التحكم بالأحاسيس المربكة التي خالجتها.

في تلك اللحظة، هبت لوسي واقفة وهي تقول: «علي أن أنهي فيلم التصوير».

ثم حملت آلة التصوير التي وضعتها قصداً فوق البراد، والتقطت أولاً صورة لبيل وماركو، وصوبتها بعدئذ نحو ماكس وثريا وهي تغمزها بطرف عينها قائلة: «حان الآن دوركما! ولكن يستحسن أن تقتربا أكثر من بعضكما».

لم يعلق ماكس على تصرفات شقيقته، رغم غرابتها، وألصق كرسيه بكرسي ثريا من دون تردد.

- هلا وضعت يدك حول كتفها؟ أحسنت!

سمعته ثريا يتنهد، لكنه انصاع لرغبات أخته من دون أن يجادلها، وأحاط كتفها بذراعه، فأحست بنيران الشوق تستعر في داخلها، وهو يريح يده على كتفها. صرخت لوسي بنبرة قوية: «هيا ابتسما!».

رسمت على ثغرها ابتسامة بدت أقرب إلى التكشيرة، فأدركت أنها لن

تستطيع أبداً أن تخدع الناس بصورة الزوجين السعيدين.

لم يرفع ماكس ذراعه فور التقاط الصورة كما أنه لم يستغل الفرصة ليبقيها مدة أطول.. تناولت ثريا كوب العصير عن الطاولة بيد ثابتة، محاولة مقاومة اضطرابها.

وفجأة، صرخ بيل بنبرة أثارت شكوك ثريا في الحال:

- اسمعوا، ما رأيكم لو نلعب لعبة القبعة؟

وراح يشرح لماكس شروط اللعبة، فيما كانت ثريا تحاول أن تجد جواباً عن تساؤلاتها في عيني لوسي. صحيح أنهم غالباً ما يلعبون هذه اللعبة، خلال السهرات التي يقضونها معاً إلا أنها لم تجد صلة بينها وبين خططهم الأساسية.

ابتسمت لوسي ابتسامة خبيثة ضاعفت شكوكها.. إنهما حتماً يدبران شيئاً ما.

- ... وإن كان جوابك خاطئاً، فعليك أن تدفع غرامة يحددها الشخص الجالس إلى يمينك.

في البداية، اقتصرت الغرامات على احتساء كوب إضافي من العصير أو تأدية مقطع من أغنية أو رواية نكتة، فأخذت مخاوف ثريا تتبدد شيئاً فشيئاً.

أما ماكس فسرعان ما حفظ قواعد اللعبة، وراح الجميع يسخر من ارتباك لوسي الجلي، لعجزها عن ايقاع شقيقها في شركها. ولما تمكنت أخيراً من إيقاعه في مصيدتها، راحت تصفق فرحة فيما انتظر ماكس قرارها بإذعان.

فقالت له بعفوية: «عليك أن تدفع غالياً ثمن انتظاري الطويل».

ثم أعلنت مبتهجة: «وجدتها! أغرمك يا ماكس بمعانقة ثريا!».

●●●

٨ ـ العريس آخر من يعلم

افترّ ثغر ثريا عن ابتسامة خجولة وهي تنظر إلى لوسي مذهولة.. ما الذي يجري هنا؟ ما الذي أصابها لتحرجها إلى هذا الحد؟

بحثت عبثاً عن عينيْ صديقتها، علّها توضح لها هذا الالتباس لكن لوسي أبت أن ترفع عينيها عن شقيقها.

ألقى ماكس نظرة عجلى عليها، وقد أحس باضطرابها، ثم التفت نحو لوسي قائلاً بحذر: «قد لا يروق لها ذلك».

ـ لا أظنها تمانع، أليس كذلك؟

لم تنتظر لوسي رد ثريا، بل تابعت تقول: «على أيّ حال، إنها قواعد اللعبة.. وعليك أن تدفع الغرامة لأن جوابك كان خاطئاً».

استرخى ماكس في كرسيه وراح يرميها بنظرات غريبة، فأرغمت نفسها على رسم ابتسامة على فمها لتخفي ارتباكها، ثم قالت له برفق:

ـ افعل ما طلبته منك وإلا تكدرت عليك حياتك.

ـ حسناً.

ورفع يده ليرجع خصلة شاردة من شعرها إلى الوراء، مبعداً عن وجهها.

ساد المكان سكون عميق لا تخرقه إلا خفقات قلبها العشوائية، فصرفت ذهنها عن كل شيء باستثناء عينيه اللألأتين وأنامله الناعمة.

وخيّل إليها أن وقتاً طويلاً مضى قبل أن يجذبها نحوه ويعانقها بشغف محركاً فيها مشاعر جارفة، أضرمت نيران الشوق في أحشائها. فنسيت اللعبة

والغرامة وأصدقاءها المحيطين بها، حتى أنها لم تدرك أن لوسي استغلت فرصة انجرافها لتلتقط لها صورة.. فعناقه لها أثار في داخلها لهفة لا تقاوم، لهفة كادت أن تحطم كافة حواجز المنطق والحذر..

في تلك اللحظة، رفع ماكس رأسه مبتعداً عنها، فأصيبت بدوار وفقدت إحساسها بالمكان والزمان.. كانت تتناهى إلى سمعها ضحكات رنانة، تجهل تماماً من يطلقها.. ترى ما الذي يضحكهم إلى هذا الحد؟ فلا شيء يدعو للضحك أبداً..

قالت لوسي وقد ملأت البهجة قلبها لنجاح استراتيجيتها: «أحسنت عملاً يا ماكس!».

ـ إنه دورك يا ماكس.

وجاء دور ثريا الجالسة إلى يساره لتجيب عن الأسئلة.. إلا أن انبهارها الشديد بعناقه جعلها عاجزة تماماً عن استيعاب ما يدور حولها..

كيف استطاع ماكس أن يحافظ على رباطة جأشه؟ لماذا لا تراه يلهث مضطرباً؟ ألا يشعر مثلها بأن العالم انقلب رأساً على عقب؟ فعناقه زعزع كيانها، وها هو يجلس إلى جانبها بلا مبالاة يطرح عليها سؤالاً، تعذر عليها حتى سماعه..

فصرخ الجميع بصوت واحد: «غرامة! غرامة!».

ثم قال له بيل: «دورك يا ماكس لتفرض عليها غرامة!».

فنظر إليها مطولاً ثم قال برقة: «عليك أن تعانقيني بدورك».

حدقت ثريا إليه مذهولة، لا تصدق ما تسمعه.. أتراه يمزح؟ ولكن تصرفاته لا تدل على أنه يمزح!

ابتلعت ثريا ريقها بصعوبة، وأشاحت وجهها مبعداً عنه لترى لوسي تبتسم لها ابتسامة رضى وستيف يقهقه فرحاً، وبيل يومىء لها بالموافقة.. فلم تجد إلى الرفض سبيلاً، لا سيما وأنها تتوق لإعادة الكرة:

أدارت رأسها على مهل نحو ماكس، وإذا به ينتظر أن تدفع الغرامة، ووجهه خالٍ من أي تعبير.. فوضعت يدها بخجل على كتفه، وتركتها

تنسلل حول عنقه.

وشعرت بذراعه تلتف حولها لتمسكها بثبات فيما راحت يده تعبث بحرية بشعرها المتطاير حول وجهها. أذابت رقته أوصالها، تجاهلت حتى الشاعر في كيانها، ودفعتها إلى ضمه إليها بقوة مشاعرها العطشى.

إلا أنه انتزع ذراعيها فجأة من خلف عنقه وأرجع رأسه إلى الخلف تاركاً قربا مصدومة، والإحساس بالحرج يتآكلها.. شعرت بالاحمرار يزحف إلى وجنتيها، وقد عجزت عن رفع نظرها إلى الحاضرين، الذين لم يحرك أحد منهم ساكناً وكأن الذهول ربط ألسنتهم..

غير أنها ما لبثت أن استجمعت شجاعتها وتناولت كوب العصير عن الطاولة، وارتشفته كله جرعة واحدة ثم أعادته إلى مكانه وتلفتت حولها قائلة: «إنها لعبة مسلية».

●●●

ـ ما الذي يجري هنا؟

وقف ماكس بالباب يحدق إليها بارتياب، وهي تنظف أرض غرفة الجلوس.

ـ لا شيء.

أجابته قربا بجفاء متفادية النظر إلى عينيه، لتخفي الإحساس بالذل الذي تملكها منذ حفلة عشاء لوسي.

جزء منها كان ممتناً له لأنه لم يأتِ على ذكر تلك اللحظات الجائعة، بينما لم يخفِ الجزء الآخر امتعاضه من لا مبالاته.. فصورة عناقهما المحموم لا تفارق ذهنها لحظة واحدة، وفي الأوقات الحرجة، تجد نفسها تعود بالذاكرة إلى تلك اللحظات الحلوة التي أفقدتها رشدها.

ماذا كان سيحصل لو لم يبعدها عنه بخشونة؟ ليته ضمها إليه بقوة وتركها تغرق في دفء صدره، وتنهل من نبع حنانه!.. لكنه لم يكتفِ بإبعادها عنه بقسوة، بل أصر على أن يذكّرها بأن الجميع ينظرون إليها.

أحست بالحرج لأنها عجزت عن كبح جماح لهفتها إليه، وكأنها كانت

طر فرصة لترتمي بين ذراعيه.. فحاولت أن تبذل جهداً لاقناع الجميع عكس ذلك، وأخذت تتحدث عن دان بلا انقطاع، حتى اقتنعت هي أيضاً أن مصير حياتها وقف على سفرها إلى سانزير للقائه.

فلو حاولت أن تظهر ترددها حيال هذه الفكرة، لظن ماكس أنه السبب في ذلك.. وهذا ما لا تريده.. لذا تقبلت إذلاله لها، لتحصل على الصور المطلوبة، وتستغلها للوصول إلى مبتغاها.. فهي مصممة على السفر إلى سانزير لمرافقة دان، الذي سيسببها حتماً ماكس..

ولكن عليها أولاً أن تبعده عن المنزل.. فمندوبة مجلة «عرس الأحلام» إيما كارتر ستصل بعد أقل من ساعة وعليها أن تستعد للقائها..

سألته على الفور وهي ترفع الغبار عن الطاولة: «ألن تخرج من المنزل؟».

كان بيل قد أخبرها أنه ألحّ عليه ليأتي لزيارته صباح السبت، فيخلو لها المنزل.

ـ وعدت بيل بأن ألقي نظرة على منزله.. ولكنني لست خبيراً في مشاكل البناء.

ـ ولكنك مهندس مدني ويمكنك أن تكوّن فكرة عن المشكلة.

فعلق ماكس قائلاً: «لا أظن أن الخبرة التي اكتسبتها من تشييد الطرقات في أفريقيا تفيدني في هذا المضمار».

ـ ولكنك أكثر مهارة من بيل.

ثم نظرت إلى ساعتها وقالت له: «كم الساعة الآن؟ رباه! عليك أن تنطلق».

ـ ولكن منزله على مقربة من هنا.

ـ قد يكون الازدحام خانقاً.

ـ سأستقل القطار.

ـ لا يهم!

ـ لماذا تريدين إبعادي عن المنزل؟

وضافت عيناه الرماديتان وهو يتابع كلامه قائلاً:

- أتنتظرين أحدهم؟ ألهذا السبب نظفت المنزل؟ لا أعتقد أنه صديقك الصحافي لأنه في أفريقيا.. هل وجدت لنفسك حبيباً جديداً؟

رمت قريا المكنسة أرضاً غاضبة ثم قالت معترضة: «إن سمعك أحدهم ظن أنني لم ألمس المكنسة في حياتي.. ولكن إن كان الأمر يزعجك، فلن أعاود الكرة..».

- لا! لا! لا! سأنصرف في الحال!

أغلقت قريا الباب وراءه على عجل وأسرعت تكمل تنظيف الغرفة وترتيبها. فوضعت على الطاولة وروداً اشترتها بالأمس، في طريق عودتها إلى المنزل، لتتباهى أمام الصحافية بأن ماكس قدمها لها.

ماذا عليها أن تفعل بعد؟ وتذكرت بسرعة أن عليها أن تنقل خاتمها إلى الاصبع الثالث من يدها اليمنى.. صحيح أنه ليس من الماس لكنه يتميز بطابعه الأفريقي، وقد قررت قريا أن تقول لإيما إن سألتها، أنهما ابتاعاه من هناك..

رباه! الصور! وأسرعت إلى غرفتها وأخرجتها من الدرج حيث خبأتها بعد أن وضعتها في اطار جميل.

«لا بد من القول بأنها مقنعة جداً» هذا ما قالته لوسي يوم جاءت تعطيها الصور ثم أشارت إلى تلك التي يتبادلان فيها النظرات قبل أن يتعانقا وأضافت: «خاصة هذه الصورة! فنظراتك تبدو حالمة».

سلمت قريا في سرها بصحة كلام لوسي، وهي تتأمل بانزعاج تعابير وجهها في الصورة.

وتابعت لوسي كلامها وهي تحدق إلى الصور بإمعان: «تبدوان في غاية الانسجام.. فمن ينظر إليكما يخالكما عاشقين فعلاً!».

أجابتها قريا متخذة موقفاً دفاعياً: «ألا يفترض بنا أن نبدو كذلك!».

- لكنك لعبت دورك باتقان.. لم أكن أعلم أنك تجيدين التمثيل إلى هذا الحد خاصة عندما عانقته..

وعاد شريط تلك اللحظات الساحرة في رأسها فسرت حرارة في أوصالها.

وضعت قريا الإطار على رف المدفأة؛ ثم حوّلت نظرها عنه.

- يؤسفني أن أعلمك بأنّ ثمة مشكلة في المكتب.

أعلنت قريا ذلك لـ إيما كارتر التي وصلت قبل موعدها ببضع دقائق.

- اضطر ماكس للذهاب ولكنه وعدني بألا يتأخر.

ثم قادت ضيفتها إلى مقعدها وهي تضيف مبتسمة:

- أرجو أن يتمكن من العودة قبل انصرافك.

شعرت إيما بخيبة الأمل ولكن ما باليد حيلة.. فحملت صورتهما معاً وقالت: «أهذا هو ماكس؟».

- نعم.

قالت بنبرة أخفت بين طياتها رأيها الواضح به: «صورته مختلفة عما كنت أتوقعه. إذ بدا لي من خلال وصفك له، وسيماً جداً».

- إنه كذلك بالنسبة إلي.

- إنه الحب.

ثم حولت نظرها إلى الاطار الموضوع على رف المدفأة وأضافت:

- أرى أن هذه الصورة مناسبة أكثر.. فالقراء يحبون الصور الجريئة.. هل تسمحين لي بإدراجها في المقال؟

- طبعاً.

أحست قريا ببعض الارتياح لاجتيازها العقبة الأولى بنجاح، فأعدّت القهوة لكليهما.

فتحت إيما مفكرتها وسألتها بكل بساطة: «كيف تعرّفت إلى ماكس؟».

أرادت أن تعرف كل شيء... طبيعة علاقتهما، مدى حبها له، وتفاصيل حفل الزواج... وبعد مرور دقائق قليلة بدأت قريا تسترخي، لأن الأمر لم يكن يتطلب منها سوى تلفيق بعض الأكاذيب.. وبين لحظة

وأخرى ستسلمها إيما بطاقتي السفر وينتهي الأمر.

- حسناً لقد انتهينا.

وأضافت إيما وهي تغلق مفكرتها: «من المؤسف أن ماكس لم يتمكن من الحضور، ولكن المقال سيروق له حتماً».

- لا شك أنه سيحزن كثيراً لأنه لم يتمكن من لقائك.

ولم تكد تنهي كلامها حتى سمعت صرير المفتاح في الباب.. فأدارت رأسها مرعوبة، لترى ماكس يدخل منه..

في بادىء الأمر، لم يلحظ ماكس وجودهما، إذ بدا متجهم الوجه مشغول البال.. ولما رمى مفاتيحه على الطاولة، التفت صوبهما، فقفزت فريا من مكانها وهرعت نحوه صارخة: «ماكس حبيبي.. لقد عدت..».

تراجع ماكس خطوة إلى الخلف، وقد ذهل لرؤيتها تهرع إليه بلهفة، ولكنها تمنت ألا تكون إيما قد لاحظت ذلك، فأحاطته بذراعيها بسرعة والصقت خدها بخده وهي تقول هامسة:

- أرجوك! لا تخذلني! أرجوك.. أرجوك.

شعرت فريا بجسمه يتصلب بين ذراعيها، لكنها أمسكت بيده وراحت ترمقه بنظرات متوسلة، قبل أن تحوّل بصرها إلى إيما..

كانت الصحافية قد هبت واقفة فيما افترّ ثغرها عن ابتسامة رضى.

- أدعى إيما كارتر وأعمل صحافية في مجلة «عرس الأحلام».

ثم تقدمت نحوه وهي تمد يدها لتصافحه وتابعت تقول:

- يسرني أنك عدت إلى المنزل في الوقت المناسب.

مد لها ماكس يده اليمنى مصافحاً، فيما كانت فريا تضغط على يده اليسرى مستغيثة في صمت.

- هل عالجت المشكلة العالقة في المكتب؟

أجابها بحذر: «كلا».

حاولت إيما أن ترفع الكلفة بينهما فقالت له:

- هل تفاجأت حين أعلمتك فريا بسبب قدومنا اليوم؟

- لا أظن أن كلمة «تفاجأت» تكفي للتعبير عن مشاعري.

أثارت تصرفاته الفظة استغراب إيما، إذ توقعت أن تغمره البهجة المموّهة برحلة شهر عسل.

- أطلعتني فريا على كافة التفاصيل، ولكنني أود أن اطرح عليك بعض الأسئلة.

أجابها ماكس بجفاء: «اسمحي لي أولاً بأن أتحدث إلى فريا على انفراد».

ثم أمسك بمعصمها بقوة وأضاف: «هلا عذرتينا قليلاً؟».

رمتها فريا بابتسامة عريضة، فيما كان ماكس يجرها خلفه إلى المطبخ، وقالت لها: «سأحضر لك المزيد من القهوة».

أقفل ماكس باب المطبخ بعنف وسألها بنبرة قاسية:

- هلاّ شرحت لي ما الذي يجري هنا؟ من هي هذه المرأة وما الذي تفعله في منزلي؟

حكّت فريا معصمها حيث أمسك بها بقوة، وقالت له:

- إنها صحافية من مجلة «عرس الأحلام»، جاءت لتجري مقابلة معنا.

- لماذا؟

- لأنني أخبرتهم أننا مخطوبان وسنتزوج قريباً.

- ماذا؟

ثم سألته هامسة: «ما الذي تفعله هنا؟!».

- ما الذي أفعله هنا؟

- ألم يكن من المفترض بك أن تزور بيل؟

- تعطل القطار وقضيت ساعات الصباح في النفق.. ولكنني على موعد معه كان على الغداء، ولم أشأ أن أدعها تنتظر فقررت أن أعود إلى المنزل واتصل ببيل لأعتذر منه.

- لو كنت تحمل هاتفاً نقالاً لاتصلت ببيل وأخبرته بما حصل، ليتصل بدوره ويعلمني بعودتك إلى المنزل.

- يؤسفني أن يفسد جهلي للتقنيات الحديثة خططك.

ثم أضاف ساخراً: «لكنك لم تجيبي عن سؤالي بعد.. هلا أخبرتني ما الذي يجري هنا؟ ولماذا قلت لتلك المرأة إننا سنتزوج؟».

قالت له وهي تضع البن في إبريق القهوة:

- اشتركت في مسابقة للفوز برحلة إلى مبانزيبر.. وتبين لي لاحقاً أن الرحلة هي عبارة عن شهر عسل، وكان علي أن أدون معلومات مفصلة عن خطيبي، فدونت اسمك.

- لماذا؟

- آسفة.. لم أتخيل بأنني قد أفوز بالجائزة الأولى.. كانت المسألة مجرد دعابة.

وتطاير شرر الغضب من عينيه وهو يسألها بحدة:

- لماذا لم تدوني اسم دان فرير؟ ألم يكن ذلك أفضل لك؟

- خشيت أن يتعرف أحدهم على اسمه.

- ألم يخطر في بالك أن أحدهم قد يتعرف على اسمي؟ أم أن ردة فعلي على لعبتك السخيفة هذه قلما تعنيك؟

- لم أفكر...

- كلا، أنت لا تفكرين أبداً.. فكلما خطرت لك فكرة جديدة، سعيت لتحقيقها مهما كانت العواقب! ودان فرير هو صاحبك الجديد!

وتابع يقول بازدراء: «إن كنت تتلهفين إلى هذا الحد للارتماء بين أحضانه، فلما لا تشترين تذكرة سفر إلى أفريقيا؟».

- لأنني لا أملك ثمنها!

وما لبثت أن تحولت نيران الغضب التي استعرت في داخلها إلى رماد، فتنهدت بصمت وهي تملأ إبريق القهوة ماء.. ولكن لماذا تكبدت عناء تحضير المزيد من القهوة؟ فإنها ستغادر حتماً المنزل فور اكتشافها أنها وقعت ضحية خدعة سخيفة.

- لم أتخيل أنهم سيرسلون صحافية لإجراء مقابلة معنا.. حسبت أنهم سيرسلون إلي بطاقتي السفر فحسب.

ثم أضافت بلهجة مثيرة للشفقة: «كان عليّ أن أدرك بأن العواقب قد تكون وخيمة.. ولكنني أعوي على ما يبدو إفساد كل شيء.. فحين أخبرتني إيما أنني ربحت بطاقتي سفر إلى أفريقيا، حسبت أنني خطوت، لأول مرة في حياتي، خطوة مدروسة، خطوة لن تنتهي كسواها بمأساة.. يا لسذاجتي!».

لف الصمت المكان، فيما كان ماكس يتفرس فيها مقطب الجبين، ثم قال لها: «هل دان فرير مهم جداً بالنسبة إليك؟».

فأجابته من دون أن ترفع نظرها إليه:

- أريد الذهاب إلى أفريقيا مهما كلف الأمر.. أريد أن أكتشف عالماً جديداً وأتعرف إلى حضارة مختلفة، وأناس جدد..

أخذت نفساً عميقاً ثم تابعت تقول:

- خذ تذكرة السفر الثانية، وافعل بها ما يحلو لك.. فإن استطعت إقناع إيما بخطوبتنا وزواجنا الوشيك، ستسلمنا حتماً تذكرتي السفر.

توقفت لبرهة عن الكلام ثم أضافت:

- أرجوك يا ماكس، لن يتطلب الأمر منك سوى دقائق قليلة.

فكر ماكس قليلاً وقال لها متردداً: «حسناً.. سأشاركك اللعبة لكني آمل ألا يطول الأمر لئلا أتأخر على موعدي مع كايت».

- لن نؤخرك، أعدك بذلك.

ثم تمالكت نفسها وحملت صينية القهوة وتوجهت إلى الباب قائلة:

- في حال سألتك قل لها إننا سنتزوج في السابع والعشرين من شهر حزيران في دار البلدية في شيلسي تاون.

علق ماكس ساخراً وهو يفتح لها باب المطبخ: «من الأفضل أن تزوديني بالتفاصيل اللازمة لئلا أجعل من نفسي أضحوكة أمامها».

- لقد عدنا!

وافتر ثغر فرنيا عن ابتسامة متألقة وهي تقدم لها كوباً من القهوة الساخنة قائلة: «آسفة للتأخير.. لكننا واجهنا مشكلة عائلية بسيطة».

بدا التململ على وجه إيما وهي تقول لها بنفاد صبر:

- هل تستطيع الآن متابعة حديثنا؟

جلست فريا على الكنبة قبالتها وجلس ماكس بقربها، من دون أن يلمسها.

فبدأت إيما حديثها قائلة: «حسناً يا ماكس.. قالت فريا إنها تعرفك منذ زمن بعيد، ولكن متى بدأت تراها مميزة عن سواها؟».

أجابها ماكس، بعد أن فكر قليلاً:

- لطالما كانت مميزة في نظري.. صحيح أنها مشاكسة ولكنها مميزة!

رفعت إيما حاجبيها دهشة وسألته: «مشاكسة؟».

- نعم، لأنها سريعة الغضب..

ثم مال نحوها وأضاف: «غالباً ما تلعب دور الفتاة الغبية، الثقيلة الظل، والبليدة الذهن، لكنها لم تتمكن أبداً من خداعي».

أصغت فريا إلى كلامه باهتمام بالغ وقد اجتاحتها أحاسيس متضاربة، امتزج فيها السخط بالاعجاب. فبخروجه عن النص المتفق عليه أثار نقمتها، إلا أن كلامه كان مقنعاً للغاية، حتى أنها صدقت، في لحظة من اللحظات، أنها موهوبة فعلاً.

سألته إيما: «أتقصد القول إن حبك لها ليس حديث العهد؟».

التفت ماكس إلى فريا، التي كانت ترتشف قهوتها بلا اكتراث وكأنها ملت من سماع هذا الكلام، وقال: «أظن ذلك!».

- لكنك لم تفصح لها عن مكنونات قلبك إلا مؤخراً، أليس كذلك؟

- نعم.

اتسمت لهجته بالبرودة، فخشيت فريا أن تساور إيما الشكوك، ولكن هذه الأخيرة كانت منهمكة بتدوين ملاحظاتها.

- وكيف حصل ذلك؟

سألها بحذر: «ألم تخبرك فريا؟»

قلبت إيما صفحات مفكرتها بسرعة وقالت:

- قالت فريا إنها اكتشفت حقيقة إحساسها نحوك ليلة عيد ميلاد اختك الواحد والعشرين.

أحست فريا بالحرارة تتفجر من خديها، إذ لم تتوقع أن يطّلع ماكس على هذا الأمر.

- حصل ذلك فعلاً ليلة عيد ميلاد أختي الواحد والعشرين.

ثم أمسك بيد فريا قائلاً: «أليس كذلك يا عزيزتي؟».

غصت فريا وهي تشعر بيده تشد بقوة على يدها ثم قالت متلعثمة:

- هذا صحيح.. أخبرت إيما أنك سافرت بعد ذلك إلى الخارج، ولم أعرف أنك تبادلني الشعور نفسه إلا حين سافرت في إجازة إلى أفريقيا وقمت بزيارتك.

حوّل ماكس نظره إلى إيما وقال لها: «فريا تؤمن بضرورة النضال في سبيل الحب.. فلم تسمح لبعد المسافات بأن يقف عائقاً في وجهها».

أثارت نبرة صوته ارتباك إيما، التي لم تكن تعي أنه يلمح إلى مطاردة فريا للدان.. فعلقت هذه الأخيرة بسرعة قائلة:

- ماكس يحمد الله دوماً لأنني ذهبت لزيارته في أفريقيا فلولاي لكان الآن يعيش في قارة بعيدة، وسط أناس غرباء عنه، من دون أن يذوق طعم السعادة التي يعيشها اليوم.. أليس كذلك؟

- إنني أعيش في حالة من النشوة.

راحت إيما ترمقهما بنظرات حائرة ثم قالت لهما:

- أعجبتني كثيراً قصة طلبك يدها للزواج على شاطىء البحر، تحت شجرة النخيل المفضلة لديكما.

فقالت له فريا وهي تضغط على يده: «أتذكر تلك الشجرة يا ماكس؟».

- أيعقل أن أنساها؟

- كنت أخبر إيما أنك اشتريت لي خاتماً من السوق المحلي..

ثم مدت له يدها لتريه الحلية الرخيصة التي تزين إصبعها وأضافت: «قلت لها إن الماس قلما يهمني، لأنني مكتفية بحبك لي».

ـ لطالما حلمت بأن أسمع هذه الكلمات تخرج من فمك.

ورفع يدها التي كان يمسك بها وطبع قبلة على راحتها.

أشعلت هذه الحركة مشاعرها، فرفعت رأسها قليلاً، لتلاقي عيناها عينيه، وقد أخذ قلبها يخفق بين ضلوعها بسرعة غير طبيعية.. فالأكاذيب الصغيرة التي لفقاها ولدت بينهما نوعاً من التوتر الممتع، غير أن ما حصل الآن مختلف كلياً. ووجدت فريا نفسها تجاهد لتلتقط أنفاسها.

أخذت إيما نفساً عميقاً ثم قالت لهما:

ـ كنت أخشى صراحة ألا تكون علاقتكما متينة إلى هذا الحد.. ولكن تبين لي أن مخاوفي ليست في محلها.

علّق ماكس على كلامها قائلاً: «إن كانت المشاعر المتبادلة صادقة، فلمَ الانتظار؟».

أحسن ماكس صنيعاً بالرد على إيما بسرعة، فقد شعرت فريا بأن الكلمات تغيب من فمها، وبدأ ألم الدموع يسدّ حنجرتها..

تابعت إيما كلامها قائلة: «علمت أنكما ستتزوجان قريباً».

ـ نعم، في السابع والعشرين من حزيران في دار البلدية في تشيلسي تاون.

وارتعش فم ماكس وهو يبذل جهداً لئلا ينسى هذه المعلومات القليلة التي زودته بها فريا.

ـ إننا ننتظر هذا اليوم بفارغ الصبر. أليس كذلك يا فريا؟

ـ نعم.

ـ وأظنكما تتوقان للعودة إلى ذلك الشاطىء لقضاء شهر العسل؟

فأجاب ماكس بنبرة لم تخلُ من بعض الانفعال:

ـ هذا ما تتوق إليه فريا.

سألته إيما مذهولة: «أكثر من حفل الزفاف؟».

لم يترك المجال لفريا لترد عليها، بل أجاب على الفور قائلاً: «أجل».

ـ أرى أن رحلة شهر العسل تعني لكليكما الكثير.. فوجهتكما ليست

عادية، وقصتكما مثيرة للاهتمام وتختلف بعض الشيء عن القصص التي اعتاد عليها القراء.

وتابعت تقول، وقد انحنت نحو الأمام، لتقنعهما بكلامها:

ـ كنا نفكر في إرسال أحد المصورين العاملين في المجلة لالتقاط بعض الصور خلال حفل الزفاف، لتدرجها في المقال.

وضع ماكس ذراعه خلف كتف فريا وشد عليها بقوة، فأسرعت تقول لإيما: «لكننا سنكتفي بحفل زفاف صغير وحميم، ولن ندعو إليه إلا عدداً قليلاً جداً من الأصدقاء، ولا أظن أن المصور قد يجد شيئاً مثيراً للاهتمام ليصوره».

ـ لا تقلقي.. فالقراء يرغبون حتماً برؤيتك في ثوب الزفاف.. وإن أردنا الحفاظ على الطابع الحميم للاحتفال، فيمكن التقاط بعض الصور لكما عند خروجكما.

ـ المشكلة هي..

ـ ألن تقيما حفل استقبال صغير للأصدقاء؟ ألا تعتقدان أنه من الجميل أن نلتقط صوراً لكما وأنتما تنطلقان في رحلة شهر العسل؟

أخذت إيما تحدق إليهما متوقعة أن تلقى فكرتها هذه استحسانهما. ثم سألتهما بلهفة: «ما رأيكما؟».

شعرت فريا بالغثيان.. فهذا ليس عدلاً.. ألم تربح هذه المسابقة عن جدارة؟ لماذا لا تعطيها إيما تذكرتي السفر بدلاً من أن تضع هذه العوائق في طريقها؟.. أتراها أدركت بأنهما لن يتزوجا فعلاً؟

ـ لست أدري..

قالت لهما وقد أربكها ترددهما:

ـ عليكما أن تحتفظا بذكرى من زواجكما والصور المحترفة التي نقترح عليكما التقاطها تساوي الكثير.. ألا تعلمون أننا نجري مسابقات عديدة في المجلة، من ضمنها مسابقة السحب على جائزة الصور الفوتوغرافية؟

التفتت فريا إلى ماكس الذي جلس قربها من دون أن ينبس ببنت شفة.. كيف عساها تقنع إيما بأن كل ما يكترثان له هو رحلة شهر العسل؟ ولحسن الحظ، كانت إيما مصممة على أن باب الحظ قد فتح لهما..

نهضت من مكانها وناولتهما بطاقتها وهي تقول:

- فكرا في الموضوع ملياً وأعلماني بقراركما.

●●●

٨ ـ حب أم رعب!

وأخيراً، انصرفت إيما كارتر.. ورافقتها فريا إلى الباب مودعة ثم أقفلته خلفها واتكأت عليه وهي تتنفس الصعداء: «ما الذي سأفعله الآن؟».

أجابها ماكس بحدة، وهو ينظر إلى ساعته غير آبه بورطة فريا:

- كوني عاقلة، وانسي الموضوع برمته.

نظرت إليه وهو يحمل سترته ومفاتيحه وسألته بلهفة:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- سأتناول الغداء مع كايت.

- ماذا عن «عرس الأحلام»؟

- نتحدث في الموضوع عند عودتي.. دقت الساعة الواحدة ولا أريد أن أصل متأخراً على الموعد..

آه.. طبعاً! لا يمكنه أن يدع حبيبته الغالية كايت تنتظر.

رمت فريا فناجين القهوة في غسالة الصحون وقد استولى عليها الحزن. ألم يكن بوسعه أن يتأخر بعض الوقت عن موعده مع كايت، ليجد مخرجاً لهذه الورطة، بدلاً من أن يتركها وحيدة في المنزل تنتظر عودته على نار؟

صحيح أنه ليس لديهما ما يقولانه، إلا أنها تريد أن تشكره على تعاونه معها، وتؤكد له أنها لم تقصد الإيقاع به للزواج بها، لأنها لا تنوي أن تتخطى معه حدود التعلق السليم، مهما حصل.

غير أنها لم تستطع أن تقاوم إحساساً بالأسى سيطر عليها، إذ رأت نفسها تقف على بعد خطوة واحدة من نيل مرادها، لكن الظروف لعبت

دورها ورمتها آلاف الأميال بعيداً عنه، ضاربة بجهودها كلها عرض الحائط.. فالعناء الذي تكبدته، ليس في تنظيف المنزل، وتحمل الإحراج الشديد خلال العشاء في منزل لوسي فحسب، بل إذلالها لنفسها أمام ماكس، ذهب هباءً.. ليتها على الأقل، لم تتوسل إليه راجية ألا يفضح أمرها أمام إيما!. لوت قريبا فمها لازدراء، فمن كان يظن أن ماكس يحسن الأقناع إلى هذا الحد؟ فقد أجاد دوره أكثر منها، واستطاع أن يزعزع كيانها بلمسة واحدة من يده.

قطبت قريبا جبينها، وقد تذكرت أنه الآن برفقة كايت، يتناولان الغداء معاً ويتحدثان عن الورطة التي أوقعت نفسها فيها.. فراحت تتخيلهما يتألقان من ادعائها أنهما مخطوبان، ويتعتانها بالوقاحة.. أو يسخران بشدة من اضطرابها وتلعثمها. إنما لا بدّ أن لديهما أشياء أخرى أكثر أهمية يتحدثان عنها فهي تراهن أن ماكس ينسى حتى اسمها، كلما خرج من هذا الباب.

تملكها الإحباط، فراحت تدور في أرجاء المنزل والحيرة تتآكلها.. خطر لها أن تخرج للتنزه قليلاً، لكنها خشيت ألا تجده في المنزل عند عودتها وكيف يهدأ لها بال قبل أن تجد مخرجاً لهذا المأزق؟

ولكن أين تراه يكون حتى هذه الساعة؟ أتراهما انتقلا بعد الغداء إلى شقة كايت، هرباً من العيون الفضولية؟ أم لعلهما يتنزهان قرب النهر، يداً بيدهما، ويتبادلان أطراف الحديث..؟ فالطقس جميل، والبرد ليس قاسياً.. ماذا لو فضّلا الاسترخاء على العشب الأخضر، ليتبادلا القبل؟ شعرت قريبا بالغثيان لهذه الفكرة التي استولت عليها بقوة، فلم تتوانَ عن التحديق بإمعان إلى ملابس ماكس عند عودته، بحثاً عن بقايا العشب الأخضر..

ولكنها تنبهت فجأة إلى أن الأمر لا يعنيها، وقلما يهمها ما يفعله مع كايت.

قالت له بنبرة طغى عليها طابع الاتهام: «أمضيت وقتاً طويلاً في

الغداء».

- لم نمضِ الوقت كله في المطعم!

صدقت ظنونها هذه المرة! لا شك أنه أمضى فترة بعد الظهر برفقة كايت.

- أمضينا فترة بعد الظهر في المكتب.

ثم تابع يقول من دون أن يعي أنه قاطع أفكارها: «طلب منا أن نرسل تقريراً جديداً للأمم المتحدة فاجتمعنا معاً في المكتب لنراجع الميزانية».

كان الارتباك بادياً عليه، فرفعت قريبا إليه عينين يشوبهما الارتياب. لقد جاء رده على تساؤلاتها سريعاً للغاية وكأنه تدرب عليه قبل وصوله.

- هل أمضيتما هذا الوقت كله تتحدثان عن الميزانية؟

فأجابها بجفاء: «رويت لكايت ما حصل هذا الصباح».

دفعت قريبا كتفيها إلى الأمام بعصبية وهي تقول:

- لا داعي للقلق، سأتصل بإيما صباح الاثنين لأخبرها الحقيقة كاملة.

لف الصمت الغرفة لبضع لحظات. ثم سألها ماكس:

- أهذه رغبتك حقاً؟

- أليست هذه رغبتك؟

- اقترحت عليّ كايت أن تمضي قدماً في هذه المغامرة!

- حقاً؟

ورفعت حاجبيها دهشة وهي تنظر إليه، وكأنها لا تصدق أذنيها.

وقف ماكس قرب النافذة يحدق إلى المنظر الجميل الممتد تحت ناظريه، وقد وضع يديه في جيبي سرواله.

- إن دخلت البلاد بصفة سائح، لن أضطر إلى تقديم طلب للحصول على تصريح رسمي. كما وأنني قد أجد من ينقل لي المعدات التي تركتها هناك إلى المطار.. في مطلق الأحوال سأستفيد من هذين الأسبوعين لأنعم بالشمس، وأتركك تستمتعين برفقتك مع دان..

ثم هز كتفيه بلا مبالاة وأضاف: «تقول كايت إن علينا استغلال

الفرصة والاستفادة من هذه الرحلة المجانية».

ضاقت فريا ذرعاً بسماعه يردد اسم كايت أمامها، وكأن رأيها وحده هو الذي يهمه.

فقالت له ساخرة: «ولكن الأمر ليس بهذه السهولة.. أظنك سمعت إيما تقترح علينا إرسال مصور من المجلة إلى حفل الزفاف.. فهل اقترحت عليك كايت أن تتزوج أيضاً؟».

ـ طبعاً لا!

وأدار وجهه نحوها مضيفاً: «دار البلدية تختلف عن الكنيسة.. ألم تخبري الصحافية أن حفل الزفاف سيكون حميماً؟ لذا ما علينا سوى أن نتسكع أمام دار البلدية، مرتدين ملابس أنيقة.. يمكنك أن تطلبي من لوسي أن تعتمر قبعة جميلة. وسأطلب من كايت أن تنثر علينا الزهور..

ـ ماذا عن حفل الاستقبال؟

أربكتها حماسة كايت الشديدة للفكرة! ألم تنزعج من فكرة زواج المزيف من امرأة أخرى؟ لعلها تثق به ثقة عمياء.

ـ لن يمانع ستيف ولوسي إن أقمناه في حديقة منزلهما.. ولحسن الحظ أنك قلت للصحافية إننا لن ندعو إلا عدداً قليلاً من الأصدقاء.. ألا تعتقدين أننا نستطيع تدبّر أمرنا أمام المصور؟

ـ يبدو لي أن كايت لم تنسَ أي تفصيل.

ـ حسبت أن الفكرة ستروق لك.. فقد كنت متلهفة للسفر إلى أفريقيا.. أم تراك غيرت رأيك؟

أجابته على الفور: «طبعاً لا!».

ـ حسناً.

جلست فريا على حافة الكنبة تعبث بساعة يدها.. ماكس على حق.. فالفكرة فكرتها، ويجب أن تكون شاكرة له، ليس لأنه وافق على لعب دور الخطيب الولهان أمام الصحافية فحسب، بل لأنه فكر أيضاً بحل يرضيها، إلا أنها كانت تفضل لو أنه لم يقحم كايت في الموضوع.

ـ أتظن أننا قادران على القيام بذلك؟

ـ يبدو أننا نجحنا بإقناعهم حتى الآن.

ابتعد ماكس عن النافذة وراح يتنقل في الغرفة متململاً إلى أن لفتت نظره صورتهما خلال العشاء الذي أقامته لوسي.

نظرت إليه فريا وهو يحملها بين يديه، ويتأملها بإمعان، فتمنت لو أنها وضعتها جانباً بعد رحيل إيما..

وتذكرت عندئذ أن صورته لم ترق في بادىء الأمر للصحافية، فقد قالت لها: «صورته مختلفة عما كنت أتوقعه».

فريا نفسها توقعت أن تصدر عنه ردة فعل مختلفة، فيضرب الطاولة بعنف ويصر عليها لتتصل بمجلة «عرس الأحلام» وتقر بالحقيقة كاملة.. إلا أنه وقف أمامها، يشجعها بكل رباطة جأش، على المضي قدماً بخدعتها.

حول ماكس نظره من الصورة إلى فريا وقال لها بنبرة خالية من أي تعبير: «ألهذا السبب دعتنا لوسي على العشاء؟».

ـ أجل، كنت بحاجة للصور لأثبت لإيما أننا زوجان سعيدان!

ـ وذلك العناق الذي أصرت عليه لوسي؟

ومضت ذكرى تلك اللحظات في رأسها، فأحست فريا بالنيران تستعر في أحشائها.. أتراه يذكر شوقها الجارف إليه وتعلقها به؟

علا الاحمرار خديها وهي تتمتم قائلة:

ـ لم أكن على علم بأمر العناق وحسبت أن لوسي ستكتفي بالتقاط صورة لنا معاً.. إلا أن العناق كان طبيعياً للغاية، وطلبت مني إيما السماح لها بإدراج الصورة في المقال.

ـ فهمت.

ـ ربما كان من الأفضل أن أعلمك بما يجري.. ولكنني خشيت أن تعتبرني مغفلة.

وأضافت بصوت خافت: «آسفة».

لف الصمت الغرفة من جديد.. ولكن ماكس لم يلبث أن خرقه قائلاً:

- من المشين أن ترمي سلاحك بعد كل ما تكبدته من عناء، أليس كذلك؟

ثم أضاف بجفاء: «أعرف جيداً سبب سفرك إلى أفريقيا، فلا تقلقي بشأني، لأنني لن أقف حجر عثرة في طريق سعادتك مع دان».

- ألا تعلم أنهم حجزوا لنا جناحاً خاصاً بالعرائس في الفندق، وعلينا أن ننزل فيه معاً؟

هز كتفيه بلا مبالاة وقال:

- أراهن أنك ستنتقلين للاقامة مع دان ما أن تسنح لك الفرصة.

- أظن ذلك.

- ولكنني لا أراك متحمسة للفكرة.

ثم نظر إليها وقد ضاقت عيناه وسألها: «ألا ترغبين بالسفر؟».

ماذا تقول له؟ أتقول له إنها لم تعد ترغب بالذهاب إلى مبانزير، بعد كل المتاعب التي أثارتها، والأكاذيب التي لفقتها، والإحراج الذي سببته له؟

وإن سألها لماذا لم تعد ترغب بالذهاب، فبماذا تجيبه؟ أتقول له إنها لم تعد تكترث لأمر دان؟ أم أن الاقامة معه في جناح العرائس تثير توترها؟ أم أنها منزعجة لأن كايت هي من أقنعه بالقيام بذلك؟ غير أن هذه الأجوبة كلها تمهد الطريق لأسئلة أخرى كثيرة، أسئلة لا تريد أن تسمع جوابها.

المهم هو أن ماكس وافق على السفر برفقتها إلى أفريقيا، وعليها أن ترد له الجميل، وتؤمن له تذكرة سفر مجانية.. فقالت له بحدة:

- طبعاً أريد السفر..

جافاها النوم تلك الليلة وراحت تتقلب في فراشها وهي تفكر بالرحلة التي ستقوم بها إلى أفريقيا.. برفقة ماكس طبعاً..

ترى ما الذي ينتظرها هناك؟ لا شك أنها لن تستيقظ ليلاً على أصوات صفارات الانذار أو صفق أبواب السيارات، أو الصراخ المتصاعد من الرصيف المقابل.. وأن أحداً لن يعكر صفو خلوتهما في جناح العرائس.

استلقت فريا على جنبها وهي تحاول أن تصف المشاعر التي قد تنتابها وهو

www.lilas.com

ينام على مقربة منها.. ولكن من قال إنها ستشارك ماكس السرير عينه؟ فما إن تطأ قدماها مبانزير حتى تنصرف إلى توطيد علاقتها بدان فرير الذي تحسدها عليه نساء العالم أجمع.. هذا ما تريده وهذا ما ستحصل عليه..

لكن لماذا فقدت حماستها فجأة؟ ألا يحتمل أن تمضي ليلة واحدة على الأقل مع ماكس في الفندق، فهي لا تعتقد أن دان سيهرع لاستقبالها في المطار، لذا ستقصد في اليوم الأول، من وصولها إلى مبانزير الفندق مع ماكس.. ولكن ما بالها عاجزة عن إبعاده عن تفكيرها؟ فمن جهته، وجد في هذه الحيلة فرصة لا تفوّت لانهاء مسح الطرقات في مبانزير، لأن أمرها لا يهمه، وهو شعور متبادل بينهما.. صحيح أنه يحسن العناق ولمساته تشعل مشاعرها، لكنها مجرد ردة فعل جسدية لا إرادية، لا قيمة لها..

على أيّ حال، فات الأوان الآن ليثير ماكس اهتمامها، إذ أصبح لديه حبيبة تفوقها آلاف المرات ذكاء وأناقة، صديقة تشجعه على المضي في هذا الزواج المزيف الذي يخدم مصلحة المشروع.. فمشروع تشييد طرقات متطورة في أفريقيا يعني لهما الكثير حتماً، ليقدما على خطوة مماثلة. تمنت في قرارة نفسها لو أنها وضعت نصب عينيها هدفاً محدداً، تناضل في سبيل تحقيقه.. فإن أرادت المقارنة، لتبين لها أن اغواء دان فرير ليس بهدف نبيل.

ماذا لو أقنعت رئيس تحرير الصحيفة بإطلاق حملة لمساعدتهما؟ فإن تمكنت من جمع الهبات اللازمة، قد تعوّض على ماكس خداعها له، فتثبت له أنها ليست سطحية وسخيفة كما يظن..

بقيت هذه الفكرة تجول في رأسها طول الأسبوع، وعندما اتصل دان بها صباح الاثنين، أطلعته عليها.. فغمرتها البهجة وهي تسمعه يثني عليها قائلاً:

- حان الوقت لتسليط الضوء على المشاريع الناجحة في هذه البلاد.

ثم أضاف بحماس كبير: «سأتحدث في الموضوع مع رئيس التحرير ولكنني أفضل أولاً أن أناقش بعض التفاصيل مع المسؤولين عن المشروع».

كانت فريا تحتفظ برقم هاتف ماكس، غير أنها لم تتصل به من قبل..

وإذ خشيت أن يرد عليها، قررت أن تغيّر لكنتها وصوتها . . ولكن تناهى إليها عبر الهاتف صوت نسائي جميل طلب منها الانتظار قليلاً ليصلها بكايت. فقالت لها كايت بعد أن شرحت لها ما يدور في رأسها: «فكرتك رائعة».

ثم أضافت بنبرة لم تخل من الحماسة: «سأتصل حتماً بدان».

- ولكنني لم أطلع ماكس على الأمر بعد.

فهمت كايت في الحال ما تريد قوله إذ وافقتها الرأي قائلة:

- يستحسن ألا تفعلي لأن دان لا يعجبه، مع أنني لا أجد سبباً لذلك.

شعرت فريا بموجة من التسلية في نبرة صوتها، موجة لم تعرف سببها، فأبعدت السماعة عن أذنها وأخذت تحدق إليها حائرة، علها تشبع فضولها.

- أحب ماكس جداً ولكنه يتعامل مع وسائل الاعلام بحذر. . يمكننا أن نطلعه على الأمر بعد اطلاق الحملة، والتأكد من نجاحها. . فأنت تعرفين طباعه.

نعم، إنها تعرف طباعه جيداً ولكن كايت تعرفه أكثر منها. .

أقفلت فريا السماعة، وصوت كايت المشحون بالعاطفة وهي تتحدث عن ماكس يتردد في أذنيها. . ألم تقل لها صراحة إنها تحب جداً؟ وماكس يبادلها، من دون أدنى شك، الشعور نفسه.

عضت فريا على شفتها وهي تتساءل لماذا لم تعثر بعد على رجل تمنحه حبها كله، فيبادلها مشاعرها ويظهر لها مدى احتياجه إليها. .

إنها تريد رجلاً يشبه ماكس. . كلا، إنها تريد ماكس نفسه.

تصلبت يدها على الهاتف وقد صعقتها الحقيقة كأنها موجة عاتية. أدركت مكنونات قلبها الدفينة، فجرفتها في تيارها لتطرحها بعيداً عن شاطىء حياتها الآمنة، حيث يمكنها الادعاء بأن ماكس لا يعني لها شيئاً!

لماذا أبت أن تفتح عينيها لترى حقيقة ما يجول حولها؟ فكلما أتت على ذكر دان أنبأها شيء ما في داخلها بأن ماكس هو من تريد. .

ما الذي أصابها يا ترى؟ أبعدت فريا يدها عن الهاتف وقد شعرت بأن

قلبها كله على حافة الانهيار. . فحبها له ميؤوس منه لأن ماكس لا يرى فيها سوى صديقة لوسي البلهاء، التي تجعل من نفسها أضحوكة أمامه كلما سنحت لها الفرصة. والأسوأ هو أنه اتخذ لنفسه حبيبة تعجز كلياً عن منافستها. .

لماذا اختارت ماكس لتقع في حبه؟ ألم يكن بوسعها أن تغرم بدان؟ فهو وسيم ولطيف، وليس لديه صديقة ذكية وودودة ومتفانية.

وأدركت في تلك اللحظة أنها وقعت في شباك ماكس العنيد، والحاد الطباع منذ زمن بعيد. . فهو الإنسان الوحيد الذي يحرك مشاعرها، ويثير رعشة في أوصالها بابتسامته. . وتقفز قلبها بين ضلوعها إذ تراءى أمامها وجهه وقد أنارته ابتسامة عريضة. .

أيعقل أن تغفل عن هذه الحقيقة الواضحة وضوح الشمس طوال هذا الوقت؟ فماكس هو الرجل الوحيد الذي تريده وتحتاج إليه. . الرجل الوحيد الذي لا يسعها الحصول عليه. .

انضمت فريا ذلك المساء إلى حشود الموظفين العائدين إلى منازلهم، وفي قلبها شوق لرؤية ماكس، وخوف من تلك اللحظة في آن معاً. . فهي لا تعلم كيف عليها أن تتصرف في حضوره، وتخشى أن تفضح أساريرها مشاعرها. . فإن ساورته الشكوك للحظة واحدة حول حقيقة إحساسها نحوه، لارتبك مرتعباً!

ليتها لم تورط نفسها في هذا الزواج المزيف! . . إذ ليس عليها أن تتظاهر بأن كل شيء يسير على أحسن ما يرام فحسب، إنما عليها أن تفعل ذلك وهي ترتدي فستاناً أبيض طويلاً، وقد رسمت ابتسامة عريضة على ثغرها. إنما عليها أن تعانقه أمام عدسة المصوّر.

ولكن ما الذي ينتظرها هذا المساء يا ترى؟ فخلال النهار أرسل لها ماكس رسالة عبر البريد الالكتروني، سألها فيها أن توافيه مساءً إلى الشقة، لتناولا العشاء برفقة ستيف ولوسي. . ولكنه طلب منها أيضاً أن تعلمه مسبقاً إن كانت تفضل أن توافيهم إلى المطعم بعد مغادرتها المكتب مباشرة.

قرأت فريا هذه الرسالة القصيرة مراراً وتكراراً آملة أن تجد بين السطور تلميحاً قد يرضي غرورها.. إلا أن الرسالة كانت سريعة وصريحة تماماً مثل ماكس.

كانت تفضل ألا يخرجا سوياً هذا المساء، لأنها ليست مستعدة بعد لمواجهة عينيْ لومي الثاقبتين.. فادعاء حب شخص لا يهمك أمره، أسهل بكثير من التظاهر بالعكس.. تنهدت فريا وهي تتمنى في قرارة نفسها لو تستطيع أن تنسحب من هذه اللعبة.. ولكنها قطعت شوطاً كبيراً، وانسحابها قد يثير تساؤلات كثيرة.. فضلاً عن أن كايت أخبرتها أن هذه الرحلة ستفيد المشروع كثيراً، ولا يمكنها أن تخذلهما أبداً..

أخذت فريا نفساً عميقاً قبل أن تدخل الشقة. صحيح أن عالمها بدأ يتزعزع من حولها، إلا أنه ينبغي عليها أن تحافظ على رباطة جأشها أمام ماكس.

استجمعت كل ما لديها من شجاعة لتواجهه، إلا أنها وجدت غرفة الجلوس خالية، فتملكها الاحباط.

- لقد عدت أخيراً.

اضطربت عند سماع صوته وتسارعت دقات قلبها فألقت عليه التحية بصوت مرتجف قائلة: «مرحباً..».

سألها وقد بلغت منه الحيرة مبلغاً: «ما الأمر؟».

- لا شيء.

وابتلعت ريقها بصعوبة، وهي تحاول أن تعيد صوتها إلى طبيعته، ثم أضافت متلعثمة: «لا شيء».

ولكن ماكس وقف يحدق إليها والفضول على ملامحه.

فقالت له أخيراً بنبرة عادية: «لقد أخفتني».

- ألم تتوقعي رؤيتي؟ ألم نتفق على أن نلتقي في المنزل؟

كانت فريا تتمزق ما بين الاحساس بالحب الذي تكنه له، والسخط الذي اعتادت أن يثيره فيها.. فتمنت أن يلغي أحدهما الآخر بدلاً من أن

يثيرها في أحشائها نار الشوق إلى الارتماء في أحضانه، لتشعر بذراعيه يحيطان بها..

سألته وهي تتفادى النظر إليه: «أين سنتناول العشاء؟».

- في المطعم الايطالي المفضل لدى لومي.. قلت لها إن العشاء على حسابي، بما أننا سنطلب منهما اعارتنا حديقة منزلهما.

- هل أخبرت لومي عن سبب هذه الدعوة؟

- كلا، فالمسألة معقدة بعض الشيء ولا يمكن شرحها عبر الهاتف.

- يدهشني أنها لم تتصل بي لتستعلم عن الأمر.. فهي تسرع عادة للاتصال بي لتسألني عما يجري.

فأجابها بجفاء: «ربما لديها أمور أكثر أهمية تفكر فيها».

- ربما!

- حجزت طاولة للساعة الثامنة ولكنني طلبت من لومي أن توافينا في الساعة السابعة والنصف، علها تصل في الموعد المحدد.

ثم نظر إلى ساعته وأضاف: «يستحسن ألا نتأخر أيضاً».

- سأبدل ملابسي.

دخلت فريا إلى الحمام وهي تهنىء نفسها على تخطيها للمواجهة الأولى بنجاح.. صحيح أنها ارتبكت في بادىء الأمر، ولكن ماكس لم يكتشف أنها واقعة في حبه، أليس كذلك؟

ثم عادت وطمأنت نفسها بأن كل شيء يسير كما خطط له، وعلاقتهما كان عادياً خالياً من أي توتر.. ومع مرور الوقت، ستصبح الأمور أسهل. ولن تلبث أن تدرك أن حبه كان مجرد وهم..

خطر لها أن ترتدي تنورة قصيرة، ولكنها عادت وغيرت رأيها، لئلا يظن أنها بذلت جهداً خاصاً لأنها ستخرج برفقته.. من ناحية أخرى لم تشأ أن يظن أنها ارتدت ملابس عادية، عن قصد، وكأن رأيه فيها يهمها.. في نهاية المطاف، فضلت أن ترتدي سروال جينز وقميصاً ملائماً، وسترة قطنية ملونة. وتركت شعرها ينسدل بحرية على كتفيها.

عند دخولها إلى غرفة الجلوس وجدته يذرع المكان جيئة وذهاباً وقد بدل قميصه بآخر أزرق اللون يتلاءم مع سمرته . .

ابتلعت ثريا ريقها بصعوبة وهي تنظر إليه، وقد قطب حاجبيه الداكنين، وقال بجفاء: «من الأفضل أن تنطلق».

يبدو أن الخطة التي وضعها ماكس لتصل لوسي وزوجها في الموعد المحدد قد نجحت، إذ وجداهما بانتظارهما في المطعم. .

ما أن لمحتهما لوسي يدخلان من الباب حتى هبت واقفة وعانقتهما بحرارة قائلة:

- متى موعد الزفاف؟

وإذ فاجأتهما بسؤالها هذا رمى ماكس ثريا بنظرة قاسية قائلاً:

- حسبتك لم تتحدثي إليها. .

- لم أفعل! لم أخبرها شيئاً.

فصاحت لوسي فرحة:

- كنت أعلم أنكما تخفيان شيئاً عني منذ أن رأيتكما معاً تلك الليلة؟

وحولت نظرها نحو زوجها وهي تضحك وقد غمرتها بهجة الانتصار:

- ألم أقل لك يا ستيف إنهما على علاقة غرامية؟ فالنظرات التي تبادلتماها تلك الليلة فضحت أمركما. . لا أصدق أنني لم ألاحظ من قبل أنكما تليقان ببعضكما.

أخذت لوسي نفساً عميقاً، وأحاطت ماكس بذراعيها وهي تضيف غافلة عن نظرات الرعب التي يرميانها بها: «إنني سعيدة من أجلك يا ماكس! فثريا هي الإنسانة المناسبة لك. . هل أخبرت أمي بالأمر؟»

لو لم تكن ثريا مشدوهة بما يجري لضحكت من صميم قلبها من الذعر الذي تملك ماكس وبدا جلياً على ملامح وجهه، وهو يجاهد ليفلت من ذراعي شقيقته. .

فصرخ بأعلى صوته: «أنا لست مغرماً بثريا، وثريا ليست مغرمة بي، ولسنا على وشك الزواج».

توقف رواد المطعم فجأة عن الكلام والتفتوا جميعاً نحوهم مذهولين.

قالت له ثريا، ونيران الغضب تتطاير من عينيها: «لا ترفع صوتك قليلاً؟ أظن أن رواد المطعم المقابل لم يسمعوا ما قلته!».

حدقت لوسي في مكانها، وهي تحدق إليهما مذهولة: «أتقصد أنكما لا...».

- كلا!

رفعت يدها إلى فمها، وهي تحول نظرها من وجه ثريا الملتهب إلى وجه أخيها الغاضب وقد أحست بالذنب، وقالت: «رباه».

- أهذا كل ما لديك؟

قالت لها ثريا ذلك لاحقاً، بعد أن تمكنت من جرها إلى استراحة السيدات.

فأجابتها لوسي على الفور: «ماذا كنت تتوقعين مني أن أفعل؟ . . دعوته الغامضة لنا على العشاء، وحديثك عن حفلات الزفاف».

- أنت من بدأ الحديث عن حفلات الزفاف!

فقالت لها مذعنة:

- حسناً. . ولكن نظراتكما وعناقكما في تلك الليلة أثارت شكوكي. .

أغلقت ثريا باب المرحاض خلفها، آملة أن تتذكر ملامح الرعب التي بدت على وجه ماكس حين تبين له أن لوسي تخالهما عاشقين. . فالفكرة مريعة، والتعابير التي ظهرت على وجهه حطمت توازنها.

عند خروجها كانت لوسي تغسل يديها.

- لم أفهم بعد سبب غضبكما الشديد.

ثم أضافت وهي ترميها بنظرة ذات مغزى: «توقعت أن تسخرا من الأمر فحسب، فهل من مشكلة إن حسبتكما على علاقة غرامية؟ إلا إن كنتما فعلاً كذلك!».

وتابعت تقول بمكر: «ألا تعتقدين أن عناقكما ذاك كان مقنعاً للغاية؟».

- كنا نؤدي دوراً فحسب.

نتحت فريا الحنفية بقوة فتناثرت المياه في كل مكان، مبللة قميصها؛ فناولتها لوسي محرمة ورقية لتمسح بها المياه، ثم قالت لها:

- أتعلمين شيئاً؟ أظن أنك تتمتعين بموهبة عظيمة في التمثيل، ومن المؤسف ألا تستغليها.

سألت لوسي صديقتها وهي تغسل يديها بعصبية محاولة أن تستدرجها لتفضي لها بسرها: «هيا.. هيا أخبريني».

- ليس لدي ما أقوله.

غير أن جوابها لم يرضِ فضول لوسي، فعادت تسألها:

- هل أنت واثقة من أن لا شيء بينكما؟

- طبعاً.

- ولكنني لاحظت في تلك الليلة أن أمراً غريباً يجري بينكما.. حتى ستيف لفت انتباهي إلى ذلك.. أقصد بما أنكما تقيمان معاً.

- إذن؟

- ولمَ لا؟ أقصد أنكما تنسجمان معاً جداً، ولا أجد مانعاً من أن..

- هل نسيت أن كل واحد منا مغرم بشخص آخر.

مسحت فريا يديها المبللتين بالمحرمة الورقية، آملة ألا تلاحظ لوسي ارتجافهما.

- ولكن علاقتك بدان ليست جدّية إلى هذا الحد.

- ماذا عن كايت؟ إنهما يشكلان ثنائياً رائعاً!

- لو كانت تعني له شيئاً لعرّفها علينا.

- سيدعوها للمشاركة في زفافنا المزيف!

- ألا تجدين الأمر غريباً بعض الشيء؟ فأنا لا أحتمل فكرة رؤية ستيف يعقد زفافاً مزيفاً على امرأة أخرى أو يعانقها..

- كايت تعلم جيداً أن ما يفعله يخدم مصلحة المشروع التي تعمل بنفاذ في سبيل انجازه.. لذا غيرتها ليست في محلها.

أجابت لوسي، وقد بدا جلياً أن كلمات فريا لم تقنعها.

- أظنها ستحضر الزفاف لتبقيه تحت ناظريها.

وأضافت بنبرة ساخرة: «لو رأيت ستيف يعانق إحداهنّ مثلما عانقك ماكس تلك الليلة، لأحرقتني نار الغيرة اللاذعة».

- ولكن كايت تختلف كلياً عنك.

عند عودتهما إلى الطاولة، كان ماكس وستيفن يناقشان بعض الأمور العملية. إلا أن إصرارهما على أن يقتصر الحفل على القليل من الزينة، أثار سخط لوسي فقالت لهما: «يمكننا أن نضع مظلة صغيرة في الحديقة».

فأجابها ماكس بحدة: «لو كنا نملك المال اللازم لاستئجار مظلة، لدفعنا ثمن تذكرتي السفر إلى مايتزير».

ثم تابع كلامه:

- سنقول لهم إن الحفل سيقتصر على عدد قليل جداً من الأصدقاء.

- ولكن ماذا عن أبي وأمي ووالدي فريا؟ سيبدو الأمر مريباً إن لم يحضروا حفل زفاف ولديهما!

- إياك أن تأتي على ذكر الموضوع أمام أمي.. فهي تنتظر يوم زفافي بفارغ الصبر، إلى حد أن العريس الذي سينتظرني عند المذبح لا يهمها أبداً!.. إن علمت بالأمر، ستحضر على جناح السرعة، وسينتهي بنا الأمر متزوجين فعلاً!

وأضاف ماكس ببرودة: «وهذا الزواج قطعاً مستحيل لأنه حجر عثرة في طريق علاقتها بدان فريز».

تنهدت لوسي قائلة: «لست أدري لماذا غاب دان كلياً عن ذهني».

- ولكنه لا يغيب لحظة واحدة عن ذهن فريا.. فهو السبب الأول لاجتماعنا هنا الليلة للتحدث عن حفلات الزفاف.

التفتوا جميعاً إلى فريا منتظرين منها أن توافقه الرأي.. ولكن ماذا قد يحصل إن نظرت إليهم وقالت لهم صراحة إن دان لا علاقة له بالموضوع وماكس هو الرجل الوحيد الذي تحب.

شعرت بالكلمات تتدافع على لسانها، ولكنها كبحت اندفاعها ورغبتها في جعل الدهر يتملكه من جديد.. فرفعت ذقنها ورسمت على ثغرها ابتسامة مشرقة وهي تقول: «هذا صحيح، إنني افعل ذلك من أجل دان».

* * *

١٠ ـ عروسان غير متزوجين

ـ هلا عدنا إلى موضوعنا؟

أعلن ماكس ذلك بنفاد صبر ثم تابع كلامه قائلاً: «لقد قلنا لمندوبة مجلة «عرس الأحلام» إن حفل الاستقبال سيقتصر على عدد قليل من المدعوين.. فإن تفاجأت لعدم حضور والدينا، ستدعي بأنهم طاعنون في السن أو شيء من هذا القبيل.. إذ لا أتخيل نفسي محاطاً بالأقارب الذين يحومون حولي و...».

قاطعته فربا قائلة: «لا يمكنك أن تطلب من بيل عدم الحضور».

ـ ستدعو بيل ومارتو وكايت طبعاً.

قالت لوسي مدمدمة: «ولكن عدد المدعوين قليل جداً».

ـ يريد المصور التقاط صورة لفربا مرتدية ثوب الزفاف.. وإن حالفنا الحظ قد ينصرف فور إنجازه مهمته من دون أن يشارك في حفل الاستقبال.

اعترضت لوسي قائلة: «لمَ لا نستغل فرصة ارتدائنا ملابس رسمية لإقامة حفلة صغيرة؟ يمكننا أن نجهز كل ما يلزم للحفلة، فإن لم يرغب المصور في الحضور، يمكننا أن نقطع قالب الحلوى».

لم يبدِ ماكس وفربا حماستهما للفكرة.. فالأول لا يحب الحفلات الصاخبة، أما فربا فمشوشة الفكر، مشغولة البال، عيناها مسلطتان على ذراع ماكس الممدودة على الطاولة قرب ذراعها، تتأمل باعجاب شديد معصمه القوي وأصابعه الرشيقة.

سألها ماكس متردداً: «ما رأيك؟».

شعرت قريا بأصابعها تتشوّق للتسلل خلسة والامساك بأصابعه فأبعدت في الحال يدها عن الطاولة وحضنتها بشدة لتحكم السيطرة عليها.

- قريا؟

أجفلت لدى سماعها اسمها.

- ما الأمر؟

- اقترحت لوسي أن نحوّل حفل الاستقبال المزعوم إلى حفلة ساهرة! فما رأيك؟

ما رأيها؟ وهل يخالها قادرة على اتخاذ قرار عاقل وهي لا تفكر إلا في رغبتها الشديدة في أن تضمه إليها؟

- نعم.. نعم..

رمقها ماكس ولوسي بنظرات غريبة، فأدركت في الحال أنهما يتوقعان منها أن تعطي جواباً مختلفاً.

- إنها فكرة ممتازة!

- حسناً.. دعوا الأمر لي.. فأنا أشبينة العروس.

أجابتها قريا شاردة الذهن: «لا بأس».

- استيقظي من سباتك يا قريا.

ولوحت لها لوسي بيدها بعصبية وأضافت: «ما الذي أصابك؟ لدينا أمور هامة نتحدث فيها كفستان الزفاف مثلاً».

أرغمت قريا نفسها على التركيز على كلام صديقتها فقالت لها:

- لم أفكر في الموضوع بعد.. ولكن ما رأيك بالفستان الذي ارتديته يوم زفافك؟

هزت لوسي رأسها بالرفض:

- كلا، ستجد لك فستاناً أكثر اناقة.. ما رأيك لو نذهب غداً للتسوق؟

صباح السبت، وصلت لوسي إلى منزل قريا عند الساعة العاشرة تماماً. ففتح لها ماكس الباب، وأدخلها إلى المطبخ حيث كانت قريا تتناول فطورها.

سألتها مذهولة: «ما الذي أتى بك في الموعد المحدد؟».

- لدينا أمور كثيرة نفعلها.. وقد وضعت لائحة بكل ما نحتاج إليه.

وأخرجت من حقيبة يدها ورقة وراحت تقرأ بصوت عالٍ:

- حذاء.. قبعة أو مشابك الشعر.. جواهر.. أدوات تجميل.. ولكن علينا أن نبدأ أولاً بالفستان.

قال لها ماكس وهو يجلس إلى الطاولة ويلتقط صحيفته:

- يبدو لي أنك تمسكين بزمام الأمور جيداً..

- لا داعي لأن تزعج نفسك مطلقاً.

ثم نظرت إليه بحذر وسألته:

- أتريدني أن أشتري لك ربطة عنق جميلة للمناسبة؟

- لا شكراً، سأهتم بملابسي بنفسي.

- احرص على أن تبدو أنيقاً لأن قريا ستكون في غاية الجمال.

بدت كلماتها هذه أقرب إلى التهديد فانفجر ماكس ضاحكاً، فيما أخذ قلب قريا يتخبط بعشوائية بين ضلوعها، وهو يدنو منها ليعيد خصلة شاردة من شعرها إلى الوراء ويقول لها هامساً: «لا تدعي لوسي تستبد بك».

شعرت قريا بغصة في حلقها وهي تقول له بصوت أجش متجاهلة نظرات لوسي الفضولية لا تفارقهما: «لن أفعل».

ولكن لمسة يده على خدها جعلت الدماء تتدفق حارة في عروقها، فغمرتها البهجة وقررت الاستمتاع بنهارها مع لوسي.. فراحتا تتنقلان من متجر إلى آخر وهما تقهقهان وتثرثران كفتاتين مراهقتين، حتى نسيت قريا، في لحظة من اللحظات سبب مرافقتها للوسي إلى السوق.. ولكن هذه الأخيرة، كانت ترغمها، بين الفينة والأخرى، على أن تقيس أثواباً مختلفة، علهما تجدان شيئاً مناسباً.

- ما رأيك بهذا الفستان؟

خرجت قريا من حجرة تبديل الملابس، وأخذت تدور حول نفسها، والتنورة الحريرية العاجية اللون تتماوج حولها.

وقفت فريا أمام صديقتها لاهثة ضاحكة تلف حولها التنورة. ولكن الابتسامة ما لبثت أن ماتت على شفتيها وهي ترى الدموع تتلألأ في عيني لوسي: «ما الأمر؟».

أجابت لوسي وهي تشهق باكية:

ـ تبدين جميلة جداً يا فريا، فتمنيت لو أن هذا الزواج لم يكن صورياً.

نظرت فريا مذهولة إلى صورتها في المرآة... فالفستان جميل ينساب بشكل مثير على بشرتها مضفياً على وجهها إشراقاً لا يضاهى.. إنه الفستان الذي تحلم به كل فتاة على وشك الزواج من الرجل الذي تحب وتتمنى أن تعيش أيام عمرها كلها في كنفه.. فستان لا يليق أبداً بزفاف صوري وعريس مزيف.

ـ ولكن زفافنا صوري..

أخذت فريا نفساً عميقاً وتابعت تقول: «سأخلع هذا الفستان ونذهب للغداء».

بعد أن تناولتا طعام الغداء في أحد المطاعم المجاورة، قالت فريا لصديقتها:

ـ لن نضيع الوقت سدىً في البحث عن أثواب خاصة بالأعراس.. أفضّل أن أشتري فستاناً بسيطاً، يمكنني ارتداءه لاحقاً في مناسبات أخرى.. لا تنسي أن زواجنا صوري ولا أريد أن أبدو كالدمية..

وافقتها لوسي الرأي على مضض، فتابعنا جولتهما على المخازن، إلى أن وجدت فريا زياً أعجبها.

ـ أظن أن هذا الفستان سيفي بالغرض.

كان الفستان بسيطاً جداً، بلا كمين، لونه أزرق مائل إلى الخضرة، وتنورته واسعة تصل إلى الكاحلين.

نظرت إليها لوسي بحماسة وقالت:

ـ إنه يتلاءم جداً مع خضرة عينيك.. ولكنه عادي للغاية..

وأضافت متذمرة: «لم أرَ في حياتي عروساً ترتدي فستاناً مماثلاً».

أجابتها فريا بحدة:

ـ لن أجد فستاناً أكثر ملاءمة منه.. كما أنني قد أستفيد منه لاحقاً.

وافقت لوسي في نهاية الأمر على شرائه، لكن شرط أن تشتري فريا معه وشاحاً من اللون نفسه، مطرزاً باللؤلؤ، تلقيه على كتفيه.

وقفت لوسي على بعد بضع خطوات من فريا تتأملها بإمعان ثم عبّرت لها عن اعجابها قائلة: «تبدين عروساً باهرة الجمال. سأعيرك عقد اللؤلؤ، لتكتمل صورتك».

كوكا الحلوه

لم تكن فريا مقتنعة بجمالها الباهر إلا أنها أقرت في سرها، وهي تقف أمام المرآة في السابع والعشرين من حزيران، بأنها تبدو مختلفة كلياً..

ليتها تستطيع فقط أن تخفف من عصبيتها!.. فمن يراها يخالها عروساً تستعد لزفافها، وليس مجرد ممثلة مغمورة أُسند إليها دور العروس في تمثيلية لا تسيء إلى أحد.

سيصل الآخرون بين لحظة وأخرى.. نظرت فريا إلى ساعتها ووجدت أن لديها متسعاً من الوقت لتعطي الشيك لماكس.. فبفضل المقالة التي أعدّها هذا، ضربت حملة صحيفة Examines على الوتر الحساس، فراحت الهبات تتدفق بغزارة بعثت السرور في قلب كايت.. عندئذ، قررت أن تطلع ماكس على المقالة ولكن من دون أن تحدد له حجم الهبات، إذ قالت لفريا:

ـ عليك أن تعطيه الشيك بنفسك لأنك صاحبة الفكرة.

التقطت فريا الشيك عن المنضدة وراحت تحملق فيه.. عليها أن تعطيه الشيك الآن لتذكره بالسبب الأساسي لمشاركته في هذه التمثيلية.. صحيح أنه غادر المنزل باكراً هذا الصباح إلا أنها كانت تسمع وقع خطواته في الغرفة المجاورة تنبهها إلى وجوده على بعد مسافة صغيرة منها.

فخلال الأسبوعين الماضيين بذلا جهداً واضحاً ليتفاديا أي مواجهة بينهما؛ إذ كلما التقيا صدفة، لفّ الصمت المكان، أو اقتصر حديثهما على بعض العبارات المتكلفة.. فكيف يعقل أن تتبادل معه أطراف الحديث وهي

لا تريد أن تقول له إلا كلمة واحدة: أحبك.. أحبك.. أحبك..!!!

غداً صباحاً تبدأ رحلتهما إلى مانتزير.. فتذكرتا السفر وصلتا بالبريد، وموظفة شركة السفريات اتصلت بها لتؤكد لها أن جناحاً فخماً حجز باسمهما في الفندق الذي اختاراه.

- لم نحجز لكما جناحاً خاصاً بالعرائس ولكنه يضم سريراً مزدوجاً، وشرفة فسيحة تطل على الشاطئ».

أجابتها فرِحا على الفور، وهي تتساءل في سرها، كيف سيتدبران أمرهما بسرير واحد: «هذا رائع!».

ولكنها وجدت أن الوقت غير ملائم للبحث في هذه المشكلة، وعليها أن تتخطى العقبات بشكل تدريجي. وأولها الزفاف الصوري.

سمعت جلبة في المطبخ، فأخذت نفساً عميقاً وحملت الشيك، وخرجت لملاقاة ماكس:

- ماكس؟

التفت ماكس إليها فالتقت عيونهما وانعقد لساناهما عن الكلام..

قال لها أخيراً بنبرة غريبة: «أرى أنك أصبحت جاهزة».

- ليس بعد.. ستأتي لوسي لاحقاً لتصفف لي شعري..

حوّل بصره عنها لثوانٍ قليلة ثم عاد يحدق إليها سائلاً: «كيف تجدين نفسك؟».

- صراحة؟

- نعم.

- أجد نفسي مضحكة.

- ولكنك لا تبدين مضحكة بل تبدين كما ينبغي أن تبدو العروس.. حتى من دون مساعدة لوسي.

- حاولت أن أقول لها ذلك.

ثم ابتسمت له وأضافت تقول:

- شكراً لك على أي حال.. وأنت تبدو أنيقاً أيضاً.

كان ماكس قد ارتدى بذلة سوداء رسمية، وقميصاً أبيض ناصعاً، وربطة عنق رمادية قاتمة اللون، فبدا جذاباً جداً إلى حد يبعث الاضطراب.

- في الحقيقة، أجد نفسي مضحكاً أيضاً.. إذ لست معتاداً على ارتداء البذلات الرسمية.

- اعتبر المسألة مجرد تمرين، قد يفيدك في المستقبل.. فمن يدري؟ قد تقدم يوماً ما على الزواج.. ولكن ليس بي طبعاً.

ثم أسرعت تقول، وصدى كلماتها يتردد ما بين جدران الصمت:

- أقصد أن كلينا قد يرتبط يوماً ما بشخص آخر..

وتوردت وجنتاها خجلاً لتلعثمها. ألم يعد بإمكانها حتى أن تقول جملة مفيدة أمامه من دون أن ترتبك وتتلعثم؟

اكتست ملامح وجهه تعبيراً غريباً وهو يجيبها: «هذا صحيح».

وبعد أن ساد صمت عميق في الغرفة، بدأ كلاهما بالكلام في آنٍ معاً، فانفجرا ضاحكين.

- تكلم أنت أولاً.

ولكنه ألح عليها قائلاً: «كلا، أنت أولاً».

فأخذت نفساً عميقاً وقالت له: «حسناً.. أريد أن أعطيك شيئاً».

وناولته الشيك وهي تتابع كلامها قائلة: «إنه ليس لك بكل معنى الكلمة، بل لمشروع إنشاء الطرقات في أفريقيا».

نظر ماكس إلى الشيك، ثم اتسعت عيناه دهشة وهو يقرأ الرقم المدون عليه.

- كيف حصلت على هذا المبلغ كله؟

- قامت الصحيفة بحملة لصالح المشروع، فانهالت علينا الهبات من القراء.

- قالت لي كايت إنكم نشرتم مقالاً عن المشروع، ولكنها لم تأتِ على ذكر الأموال..

ثم نظر من جديد إلى الشيك وكأنه لا يصدق عينيه وقال لها:

ـ لم أكن أعلم.. شكراً لك.

أجابته مدمدمة: «لا تشكرني.. بل أشكر دان... فهو من كتب المقال».

توترت ملامحه قليلاً عند سماع اسم دان: «تقول كايت إنك صاحبة الفكرة؟».

ـ كل ما فعلته هو أنني اقترحت عليها الفكرة فحسب.

اخفضت فريا عينيها وتابعت تقول: «وجدت أنها الطريقة الوحيدة لأعبر لك عن امتناني، بعد كل ما قدمته لي من مساعدة لأتمكن من السفر إلى سباتزير.. فمن دونك، لخسرت هذه الرحلة».

ـ وهل هي مهمة بالنسبة إليك إلى هذا الحد؟

رفعت نظرها إليه وراحت تتفرس في وجهه الساكن، والرغبة بأن ترتمي بين ذراعيه تتآكلها.. ليتها تستطيع أن تقول له إن وجوده، وجوده قربها يهمها!.. ولكنها قالت له ببساطة: «نعم».

والتقت عيونهما فيما لف السكون المحكم الغرفة من جديد.

شعرت فريا بأن وقتاً طويلاً مضى قبل أن يستدير ماكس نحو المنضدة في المطبخ قائلاً:

ـ أنظري، لقد أحضرت لك شيئاً.

وأخرج باقة من أزهار الزنبق والقرنفل المختارة بعناية والمزينة بشرائط لؤلؤية زاهية.

وأضاف: «تفضلي.. هذه لك».

ـ ماكس!

دفنت فريا رأسها بين الأزهار لتخفي دموعاً تلألأت في عينيها.

ـ خطر لي أن من الضروري أن تحمل عروسي باقة من الورد.

وأضاف بصوت أجش: «هذا على سبيل التمرين، طبعاً».

تجمعت الدموع في عينيها فرفعت رأسها قائلة: «إنها جميلة».

تقدمت فريا منه حاملة الباقة بيدها ثم وضعت يدها الأخرى على كتفه

وقالت له بصوت مرتجف:

ـ شكراً.. شكراً لك على كل شيء.

في تلك اللحظة، وضع ذراعيه حولها وضمها إليه بقوة، فأغمضت عينيها، وكل شبر فيها يطالبها بأن تعانقه بقوة.

ـ شكراً لك.

قال لها ذلك، فأبعدت رأسها قليلاً إلى الخلف، ليصبح وجهاهما متقابلين، إلا أن الصوت الذي تعالى فجأة في الخارج جعلهما يبتعدان عن بعضهما البعض على مضض.

قال ماكس وقد استعاد بعضاً من هدوئه:

ـ لقد وصلت لوسي وزوجها وسأذهب لافتح لهما الباب.

تنهدت فريا بشيء من خيبة الأمل ووافقته الرأي قائلة: «نعم».

دخلت لوسي إلى المنزل والفرحة بادية على وجهها، وقد اعتمرت قبعة غريبة مضحكة مزينة بالريش الملون فسألتهما بفرح كبير:

ـ كيف حال العروسين هذا الصباح؟

ثم نظرت إليهما بعينيها الثاقبتين وأضافت تقول: «هل من خطب؟».

ردت فريا على الفور وقد استردت رباطة جأشها: «لا، أبداً».

ـ يسرني أنك تذكرت شراء باقة من الورد.. إنها رائعة!

ـ ماكس اشتراها لي!

رمت لوسي شقيقها بنظرة عجلى، وقد ظهرت على طرف فمها ابتسامة ساخرة وقالت: «حقاً!».

رد ماكس عليها بصوت جاف: «أظن أن الوقت بدأ يداهمنا.. لذا يستحسن أن تنجزي بسرعة ما عليك إنجازه».

وصل بيل وماركو إلى المنزل بعد قليل، ولما شاهدا فريا تدخل من الباب، راحا يدندنان لحن زفة العروس.. فالحق يقال إن لوسي أحسنت صنعاً.. فقد رفعت شعر فريا على شكل ضفيرة، ووضعت بعض الظلال فوق عينيها ومسحة وردية على خديها.

قال لها بيل وهو يتأملها بإعجاب شديد: «تبدين رائعة الجمال يا عزيزتي».

من جهتهما، ارتدى كل من بيل وماركو سترة من القماش المطرز احتفاءً بالمناسبة.. فلما رأى بيل فريا تحدق إليهما حائرة، قال لها موضحاً:

- وعدني ماكس بأن أكون اشبينه.. ولحسن الحظ أنني لم أنس أن أعلق زهرة قرنفل في عروة السترة.

عند سماعها كلامه، حولت فريا نظرها إلى ماكس الذي وضع بدوره قرنفلة في عروة سترته، فشعرت بقشعريرة تسري في أوصالها وهو يتأملها من رأسها إلى أخمص قدميها.

سألته لوسي معتدة بنفسها: «ما رأيك؟ ألا تبدو جميلة؟».

فأجابها باقتضاب: «بلى».

غير أن نبرته كانت فظة للغاية، ففضل الحاضرون أن يلتزموا الصمت.. أحسّ بيل بتوترهما، فحاول أن يخفف من وطأة هذه اللحظة قائلاً:

- حسناً.. من واجبي، كإشبين للعريس، أن أوصلكم إلى الكنيسة في الوقت المحدد.. لذا علينا أن ننطلق في الحال.

اعترض ماركو قائلاً: «ولكن كايت لم تصل بعد».

حملت فريا باقة الورد وأحنت رأسها بين براعمها الجميلة لئلا يرى أحد نظرات الأسى في عينيها.

قال ماكس وقد بدا شارد الذهن: «ستوافينا إلى دار البلدية».

- ماذا عن الخاتم؟ هل اشتريت واحداً يا ماكس؟

- أجل يا بيل.

ودس يده في جيبه وأخرج خاتماً من الذهب الأبيض والأصفر.

قالت لوسي وهي تتفحصه بإمعان:

- إنه جميل.. حسبتك ستشتري خاتماً زهيد الثمن.

فأجابها على الفور متفادياً النظر في عينيها: «هذا ما اشتريته».

نظر بيل إلى فريا قائلاً: «يستحسن أن تضعي الخاتم في إصبعك منذ الآن، لئلا تنسيه لاحقاً وتثيري شكوك المصور».

رفعت فريا عينيها إلى ماكس، فهز هذا الأخير كتفيه بلا مبالاة وقال:

- لا بأس.. اعطيني يدك.

مدت له يدها اليسرى، فدس الخاتم في إصبعها ببرودة.

عندئذ أعلن بيل بصوت طنان: «أعلنكما الآن غير متزوجين».

فانفجر ماركو وستيف ولوسي بالضحك، فيما لم تتبدل ملامح ماكس، وأحست فريا بالدموع تسد حنجرتها.

- حسناً، هيا بنا..

كان شارع كينغروود مزدحماً، وانتظروا طويلاً ليجدوا مكاناً يركنون فيه السيارة. عند وصولهم إلى دار البلدية، وجدوا كايت في انتظارهم، فانعصر قلب فريا لرؤيتها.. إلا أنها ما لبثت أن شاهدت شاباً وسيماً طويل القامة يقف إلى جانبها..

- أقدم لكم خطيبي جون تدوالو.

وطبعت كايت قبلة على خده وتابعت تقول: «وصل جون من تانزانيا البارحة في ساعة متأخرة، لذا فضلنا أن نأتي مباشرة إلى هنا».

حدقت فريا إليهما مذهولة.. هل قالت إنه خطيبها؟

- ولكنني اعتقدت..

- ألم يخبرك ماكس؟

- كلا، لم أكن أعلم أنك مخطوبة.

- التقيت جون حين كنت أعمل في دار السلام.

ثم أضافت وعيناها تشعان فرحاً: «قررنا أن نتزوج في الشهر المقبل.. أرجو ألاّ تطول رحلتكما إلى مانزيرا أكثر من ذلك».

شعرت فريا بحرارة الارتياح تغزو شرايينها.. فكايت ليست حبيبة ماكس بل هي مجرد صديقة له..

ابتسمت فريا ابتهاجاً وصافحت جون بحرارة قائلة: «تهانيّ».

- علي أن اعتني بك بدوري.. فماكس رجل ممتاز.
- نعم، أعلم ذلك و...
ولكنها توقفت فجأة عن الكلام وقد أدركت ما أراد جون قوله..
- لكن..
- ألم تخبرك كايت أن زواجنا صوري؟
ظهر ماكس فجأة إلى جانبها، ومد يده مصافحاً جون وهو يضيف:
- إنها مجرد صفقة للفوز ببطاقة سفر مجانية إلى ماتزير.
احتجت كايت قائلة: «إنه على علم بالأمر».
ثم رمت خطيبها بنظرات حادة مضيفة: «ألم أشرح لك حقيقة ما يحصل هنا يا جون؟».
- بلى.. ولكنني.. نسيت..
لم يكن جون وحده الذي نسي حقيقة ما يجري.. ولكن كلمات ماكس كانت باردة ولاذعة فاحست فريا بقلبها يتمزق.. صحيح أنه ليس على علاقة بكايت، لكن ذلك لا يعني أنه مغرم بها.. إذ أسرع يزيل الالتباس ويشرح لجون حقيقة ما يحصل، لئلا يتوهم بأنهما سيتزوجان فعلاً..
راقبت فريا ماكس وهو يعرّف جون إلى بيل وماركو، ولاحظت التوتر في فمه، وهو خير دليل على نفاد صبره. فعلى الرغم من أنه يحاول أن يلعب دوره، إلا أنه يأبى أن يخطر لأحدهم أنه قد يغرم بها.. فهذا أمر مستحيل ولكنها أحست بالرضى لأنه ليس مغرماً بكايت أيضاً.
حولت فريا نظرها إلى باقة الورود التي اشتراها لها خصيصاً.. وتذكرت لحظة لف ذراعيه حول خصرها.. ولكن لوسي وزوجها قطعا عليها سحر تلك اللحظات.. غداً ينطلقان معاً في رحلتهما المنتظرة إلى أفريقيا ليستمتعا على سجيتهما بلياليها الحارة.. ولعلها تجد عندئذ فرصة ملائمة لتطلعه على حقيقة مشاعرها.. شعرت فريا بقشعريرة تسري على طول عمودها الفقري لهذه الفكرة.. فهي تحمد الله من قلبها لأن أوهامها ضللتها وأوهمتها بأنه متورط مع كايت..

- تبدين مشرقة يا عزيزتي وكأنك عروس يوم عرسها.
قال لها ستيف ذلك وهو يضمها ويطبع قبلة على خدها.
نظرت فريا بطرف عينها إلى ماكس فوجدته يرمقها بنظرات حادة.. عليها أن تحترس ولا تبالغ في معاملته بلطف، ليجفل منها.. ألم يعد بوسعها أن تحتفظ بمشاعرها لنفسها حتى الغد فقط؟ ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام وهي تقول لستيف:
- إنني سعيدة للغاية.. فغداً تبدأ رحلتي إلى أفريقيا.
أشاح ماكس عينيه بعيداً فيما صرخ بيل قائلاً، وقد بدأ يأخذ دوره كإشبين للعريس على محمل الجد:
- من الأفضل أن ندخل.
ثم حوّل نظره إلى فريا وسألها: «متى يصل مصور مجلة «عرس الأحلام»؟».
- قلت لهم إن الزفاف سيعقد عند الظهر.
- قاربت الساعة الثانية عشرة.. ومن الأفضل ألا يرانا المصور نتسكع في الخارج.
وقاد الجميع إلى الداخل، وقد بدت على وجوههم نظرات غريبة، وكأن كل واحد منهم يشعر بحماقة ما يقوم به.
وحده ماكس بقي واقفاً في الخلف. وارتسمت على ثغره ابتسامة عريضة حين ظهرت إيما فجأة من خلفهم.. ولحسن الحظ أنها وجدتهم جميعاً يضحكون، فخطر لها أنهم مجموعة من الأصدقاء السعداء اجتمعوا معاً للاحتفال بالزفاف..
قالت إيما وقد بدا عليها الاحباط:
- هل انتهى حفل الزفاف؟ كنت آمل الوصول قبل انتهائه بقليل.
ثم نظرت إلى فريا مبتسمة وأضافت:
- تهانيّ يا فريا.. أم علي أن أناديك سيدة ثورنتون؟
حولت فريا عينيها في الحال إلى لوسي، فوجدتها تبذل جهدها لكبت

قهقهة كادت تفلت منها، ثم شكرت إيما بنبرة صارمة قائلة: «شكراً لك».

إلا أن عينيها ما لبثتا أن ضاقتا وهي ترى إيما تتجه نحو ماكس وتعانقه مهنئة.. ألم يكن بوسعها الاكتفاء بمصافحته؟ فما الداعي لهذا التودد المبالغ فيه؟ ولعل أكثر ما أثار سخطها هو أن ماكس لم يكن منزعجاً أبداً من المرأة طرية عليه.

- جاك ينتظركما عند أسفل الدرج ليلتقط لكما بعض الصور.

ثم التفتت نحو فريا وقالت بلهجة جدية: «سأطلب من الضيوف الخروج أولاً ليهللوا لكما عند خروجكما من الباب».

طردت إيما الجميع خارجاً، وتركت فريا وماكس وحيدين في البهو، والصمت يخيم بينهما.. في وضع مماثل، يستغل العروسان الفرصة ليتبادلا عناقاً محموماً، إلا أن فريا وماكس وقفا متباعدين كأنهما شخصان غريبان ينتظران وصول الباص.

كانت فريا تتوق للمسه، إلا أن تعابير وجهه الشامخة أرعبتها، وأخذت سعادتها تزول شيئاً فشيئاً ومعها الأمل بأن تتبدد غيوم التوتر المخيمة على علاقتهما بعيد وصولهما إلى أفريقيا..

فكرت فريا بأن لا شيء فيها قد يجذبه.. فهي ليست خارقة الذكاء أو الجمال أو حتى مميزة..

هزت كتفيها متململة، فأوقعت الشال الذي كانت تضعه أرضاً. وقبل أن يتسنى لها الوقت لتنقل باقة الورد من يد إلى أخرى لتلتقط الشال، أسرع ماكس وحمله عن الأرض وأعاده إلى مكانه، فلامست أصابعه كتفيها، فسرت الحرارة في أوصالها..

نظرت فريا إلى ماكس وهي عاجزة عن الكلام والحراك ويده تداعب ذراعها برقة.

فجأة، أبعد يده عنها، وكأنه أدرك ما كان يفعله، ونظر إلى ساعته وقال: «أظن أن الوقت حان لنخرج».

ثم أخذ نفساً عميقاً، فخطر لفريا أنه يستجمع قواه كلها قبل أن يمسك

يدها..

- إنها العقبة الأخيرة.. ولا تنسي أن تبتسمي.

كشفت عن أسنانها بعصبية، وسألته محاولة المزاح معه: «هكذا؟».

- ابتسمي كما كنت تبتسمين منذ بعض الوقت.

وشد ذراعيه حولها، فقفز قلبها بين ضلوعها فرحاً.. إنه هنا، إلى جانبها، يمسك بها، وهذا يكفيها.. رسمت ابتسامة ناعمة على ثغرها وقالت له: «هيا بنا».

خرجا من الباب يداً بيد، ووقفا عند أعلى الدرج، ينظران إلى أصدقائهما المنتظرين في الأسفل، وهم يصفقون لهما مهللين.

نزلا الدرج، رويداً رويداً، ولوسي وكايت تنثران الأرز والورد عليهما.. وفجأة وجدت فريا نفسها محاطة بالمدعوين جميعاً، يعانقونها بفرح مهنئين..

وسط هذه العاصفة من العواطف الجياشة والإثارة، نسيت فريا أن زفافها مجرد لعبة، اتفقا معاً على تفاصيلها.. وتغاضت عن عيون المارة الفضوليين الذين كانوا يحدقون إليهم مبتسمين، حتى أنها نسيت كلياً الصور إلى أن أيقظتها إيما من أوهامها وأعادتها إلى أرض الواقع قائلة:

- يريد جاك أن يلتقط لكما وحدكما بعض الصور.

فتح ماكس فمه ليرد عليها إلا أن لوسي أسرعت تقول:

- ما رأيك لو رافقتنا إلى المنزل؟ فالطقس جميل، ويمكننا الجلوس في الحديقة والتقاط الصور..

- لماذا قلت لها ذلك؟

أفلت ماكس يد فريا بعصبية، بعد أن ابتعدت إيما للتشاور مع المصور، وتابع بقوله: «كان بوسعها الاكتفاء بالتقاط بعض الصور هنا!».

- بذلت جهداً كبيراً لتزيين الحديقة، وأريدها أن تظهر في المجلة.. على أي حال، قالت لي كايت إنه يستحسن أن ندعوها لمرافقتنا إلى المنزل، تأكداً من صحة الزواج.

- ولكننا أتمناهم بما فيه الكفاية.

علق بيل قائلاً: «لا أظن ذلك.. إذ طرحت إيما أسئلة كثيرة فيما كنا ننتظر خروجكما، وتساءلت عن سبب اقتصار الدعوة على هذا العدد القليل من الأشخاص».

تنهد ماكس قائلاً: «أتساءل أحياناً إن كنا سنتمكن من وضع حد لهذه القصة».

أجابته فريا وهي تتوق لأن يمسك بيدها من جديد:

- سينتهي كل شيء قريباً جداً إذ لا أظنهم سيلحقون بنا إلى أفريقيا.

- أرجو ألا يفعلوا، وإلا ذهب تعبنا كله هباءً.

ردت لوسي بعصبية: «كفاك تذمراً يا ماكس.. سيسير كل شيء على ما يرام».

كان الطقس جميلاً والسماء صافية، لا يعكر صفوها إلا بعض الغيوم العابرة، والنسيم العليل يعبث بشعرهم.

عند وصولهم إلى المنزل، شهقت فريا دهشة، وهي ترى ما بذلته صديقتها من جهد.. فعلى باب الحديقة، وضعت أحواضاً كبيرة من الورد، ونصبت في وسطها مظلة ضخمة، ووضعت تحتها طاولة تتسع لثمانية أشخاص، زينتها بمناديل زهرية، وباقات من براعم الورد.. وبدا جلياً أن ستيف تولى منذ الصباح مهمة جز المرجة، إذ عبق المكان برائحة العشب الممزوجة برائحة الورد.

قالت لوسي فرحة بالثناء، فريا الجلي: «جهزت لكما أيضاً قالب حلوى.. ولكنني أرجو ألا تبقى إيما وجاك على العشاء لأن الطعام لا يكفي لهما».

لم تخفِ إيما اعجابها الشديد بالحديقة أيضاً، فقالت لفريا:

- سنلتقط صورة لكم وأنتم جالسون إلى المائدة.

ثم التفتت إلى المصور وسألته:

- ما رأيك لو نلتقط صورة للعروسين أمام أحواض الورد؟

وافقها جاك الرأي وأعطى في الحال تعليماته لماكس قائلاً:

- ضع ذراعك حولها.. والآن، هلا ابتسمتما لبعضكما؟.. نعم.. ممتاز..

اتخذ ماكس وفريا الوضعية المطلوبة من دون اعتراض، وتعالت ضحكات الآخرين الذين بدوا وكأنهم يستمتعون جداً بوقتهم.

قال لها ماكس متذمراً، وهما يتخذان وضعية جديدة: «ألم يكتفِ بعد؟!».

ردت إيما وكأنها سمعت كلامه: «التقط لهما صورة أو اثنتين بعد فقط.. ولكن ما رأيك لو تصورهما متعانقين؟».

- نعم، إنها فكرة ممتازة.

فقالت فريا محاولة تسهيل الأمور: «لا بأس يا ماكس.. إنها المرة الأخيرة!».

وافقها ماكس الرأي قائلاً: «معك حق.. إنها المرة الأخيرة، لذا ينبغي أن تكون مقنعة جداً، أليس كذلك؟».

وجذبها إليه بقوة، متجاهلاً تعليمات المصور، فاستسلمت له كلياً.. إنها الفرصة الأخيرة التي قد تسنح لها لمعانقته، لذا عليها أن تستغلها إلى أقصى حد.. فلفت ذراعيها حول عنقه، مشجعة ماكس على احتضانها أكثر، فسارع إلى تلبية رغبتها وعانقها بشغف، مفجراً بينهما مشاعر جارفة من الصعب السيطرة عليها، حتى بات انفصالهما صعباً.

أحست فريا وهي تذوب بين أحضانه بأن العالم توقف عن الدوران.. فقدت الإحساس بالمكان والزمان وخيل إليها بأنها تحلق في السماء على جناحي السعادة اللذين حملاها إلى عالم بهي، جميل، لا مكان فيه إلا لهما..

حين أرجع ماكس رأسه قليلاً إلى الوراء ليلتقط أنفاسه، شدّت فريا ذراعيها حوله، إلا أن أصوات التهليل والصفير تعالت من خلفهما، فوجد ماكس نفسه مرغماً على الابتعاد عنها، ليلتفتا معاً إلى الأصدقاء المحيطين

بهما مبتسمين . .

وحدها إيما لم تبدِ تأثرها بالمشهد ، وأخذت تنظر إلى ساعتها متململة :

ـ علينا أن نسرع ونلتقط صورة لكما على المائدة . .

أطلق ماكس سراح فريا بتأنٍ ، فوقفت جامدة في مكانها تخشى أن تبتلع أرضاً إن تحركت . .

ـ تعالي يا فريا .

كانت لوسي تلوح لها مبتسمة ابتسامة متكلفة ، فتدبرت فريا أمرها لتتوجه إلى المائدة حيث تجمعوا كلهم .

ـ خذي واشربي كوباً من العصير .

قال لها ستيف ذلك وهو يضع الكوب أمامها على الطاولة ، فتناولته في الحال وشربته جرعة واحدة ، ثم قالت له وهي تعطيه كوبها الفارغ :

ـ أريد كوباً آخر .

ابتسم ستيف وقال لها : «يبدو لي أنك عطشى» .

هذا صحيح . . فقلبها يخفق بسرعة ، وجسمها يرتعش بشدة ، حتى أنها لم تعد تعي ما يدور حولها . . إلى أن سمعت إيما تودعهم قائلة :

ـ كنا نأمل أن نلتقط لكما صوراً في المطار ، ولكن المصور مشغول جداً . .

ثم تابعت كلامها : «هلا أرسلتما لنا صوراً لكما في مباتزير ، حتى ندرجها في مقالة لاحقة؟» .

خطر لفريا ، وهي تصغي إلى كلام إيما ، أن مجلة «عرس الأحلام» ستتقيدهما مدى الحياة . . فقد تصر لاحقاً على تحضير مقالة عن طفلهما الأول ، أو عن السهرات العائلية ، أو زفاف ابنهما . . ومن يدري؟ ربما تمنحهما ، بعد مرور ٢٥ سنة على زفافهما ، ميدالية فضية!

أجابها ماكس بنبرة عادية وهو يصافحها مودعاً : «لا عليك ، سنرسل لك كل ما تريدينه» .

انفجر الحاضرون بالضحك بعد انصراف إيما والمصور ، فيما راحت

لوسي تصرخ فرحة : «لقد نجحنا . . لقد نجحنا . .» .

أرغمت فريا نفسها على الابتسام ، مدعية أنها تشاركهم سرورهم ، إلا أن جسمها كان لا يزال يرتعش من تأثير ذلك العناق . . حاولت قدر الإمكان أن تتحاشى النظر إلى ماكس ، إلا أنها كانت تشعر بقربه منها ، وتتمنى لو يخطفها إلى مكان ناءٍ ، حيث لا يزعجهما أحد . .

وتذكرت أنهما سيكونان غداً ، في مثل هذه الساعة ، في مباتزير ، بمفردهما .

* * *

١١ ـ عند الصباح . . يأتي الندم!

أعدت لوسي للعشاء سمك سلمون مشوياً مع صلصة التوابل وبطاطا، وللتحلية، قالباً من الحلوى . . قضى المدعوون فترة بعد الظهر إلى المائدة، يتبادلون الأحاديث حول ما قاله كل واحد منهم لإبنا عن قصة حب ماكس وفريا.

بدأت لوسي الكلام قائلة: «قلت لها إنني لطالما شعرت أنكما خلقتما لتكونا معاً».

هز ستيف رأسه قائلاً: «لكنني قلت لها إن زواجكما كان مفاجأة لي».

ـ أما أنا، فقلت لها إنني كنت متحاملاً عليك.

والتفت بيل نحو ماكس وأضاف: «الحق يقال، إنه حري بك أن تجلس بعيداً عنا، وترفض التحدث إلى أي منا».

ابتسمت كايت وقالت لفريا: «لعلك تكتشفين أنه يملك منزلاً فخماً في مباتزير، فتقعين في حبه في نهاية المطاف».

ظهر على ثغر ماكس طيف ابتسامة وهو يرد قائلاً:

ـ أخشى أنني لا أملك في مباتزير سوى سيارة جيب ومعدات المسح

بذلت فريا جهداً لتحافظ على رباطة جأشها، ونظرت إلى ماكس بطرف عينها، فإذا به عادياً لا يعاني مثلها من الاضطراب الداخلي وحواسه لا تصرخ مستنفرة لملامستها . .

ـ أريد أن أقترح نخباً.

أعلن ماكس ذلك بحزم، وقد وجد أن الوقت حان لتغيير الموضوع

ـ نخب العروسين كايت وجون، وأشكرهما على حضورهما اليوم، آملاً أن أتمكن من المشاركة في حفل زفافهما.

ـ نخب كايت وجون.

قال جون وقد بدا عليه الاستمتاع بهذا الحفل:

ـ أشكركم جميعاً وأتمنى أن يكون حفل زفافنا ممتعاً إلى هذا الحد.

ثم رمى كايت بنظرة عجلى وأضاف: «بدورنا سنشرب نخب لوسي وستيف، ونشكرهما على هذه الأطباق الشهية».

حملت فريا كأسها عالياً وهي تقول: «نخب لوسي وستيف».

هبت لوسي واقفة وقالت:

ـ نخب بيل وماركو لأنهما أوصلانا إلى الكنيسة في الموعد المحدد.

قاطعها ماركو قائلاً: «ونخب فريا وماكس، لأنهما جمعانا هنا اليوم . .».

فاقترح بيل: «لنشرب نخب الحب».

وصرخوا جميعاً بصوت واحد: «نخب الحب».

جلس الجميع يتسامرون طوال فترة بعد الظهر، إلى أن غابت الشمس وخيم الظلام . . فأشعلت لوسي الشموع وجلبت الزبد من المعصر.

ومع مرور الوقت وارتفاع الضحكات، وجدت فريا أن توترها بدأ يتلاشى شيئاً فشيئاً، وغمرتها البهجة، فراحت تتساءل مشوشة الذهن عما أثار توترها من قبل!! فهي تجلس وسط هذه الحديقة الجميلة محاطة بأصدقائها، وماكس إلى جانبها . . والأمور تسير على خير ما يرام.

نظرت فريا إلى ساعتها، فقال لها ماكس:

ـ لقد أطلت السهر، وعليك أن تستيقظي باكراً في الغد.

ـ ولكنني أريد البقاء.

قال ماكس لستيف بصوت خفيض:

ـ سأستدعي سيارة أجرة، إذ لن نعود إلى المنزل بالباص ونحن متأنقان.

وصلت سيارة الأجرة بعد قليل، وانتظر السائق أمام المنزل لتودع فريا الجميع وتعبر لهم عن مدى حبها لهم.

- أحبك يا جون.

وانفجرت باكية وهي تعانقه، ثم تعثرت وهي تتوجه نحو ماركو، فأمسكها هذا الأخير لئلا تقع أرضاً.

- أحبك يا ماركو.

جرها ماكس من ذراعها وهو يقول لها: «نعم، نعم.. تعلم أنك تحبين الجميع».

- وأنت أيضاً أحبك.

- من دون شك!

- وأنت، هل تحبني؟

فتح ماكس باب السيارة ودفعها إلى داخلها.

- هل تحبني؟

تنهد ماكس بنفاد صبر وأجابها: «طبعاً احبك».

استرخت فريا في المقعد الخلفي، وقد تملكها إحساس قوي بالرضى، فيما أخذ ماكس يدمدم متذمراً: «كان علينا أن نتصرف باكراً.. لن أتمكن أبداً من إيقاظك غداً صباحاً».

- عليك أن تفعل لأننا سنسافر إلى أفريقيا.

ثم أضافت وهي تبتسم له ابتسامة معزية:

- إنني أنتظر هذه الرحلة بفارغ الصبر.

- أعلم ذلك.

- أتعلم أنني أحبك جداً؟

ولكن كلماتها تداخلت بعضها ببعض لشدة اضطرابها فلم تترك عليه الأثر المطلوب..

- وياه! إنك منهارة كلياً!

- لست منـ.. هارة.. لست كذلك!

وانعطف السائق فجأة عند الشارع التالي، ففقدت فريا توازنها وارتمت على ماكس. فما كان من هذا الأخير إلا أن وضع رأسها على حجره، ناثراً شعرها الطويل عليه.

اغمضت فريا عينيها، وعادت تقول له: «إنني أحبك فعلاً».

- من الأفضل ألا تتفوهي بكلمة أخرى لئلا تندمي عليها عند الصباح.

ردت عليه وقد استولى عليها النعاس: «حسناً، ولكنني أحبك فعلاً».

- شكراً لك.

***

دفع ماكس بقشيشاً للبواب الذي حمل الحقائب إلى الغرفة، ثم أقفل الباب خلفه واستدار يتأملها.

وقفت فريا وسط الغرفة تنظر حولها بفضول؛ كان الحر خانقاً لكن المروحة المتدلية من السقف خففت قليلاً من حدته.. في الخارج، كان الظلام دامساً فيما خيم على المكان سكون، لا تخرقه سوى أصوات الحشرات المزعجة.

كانت الغرفة بسيطة جداً، بجدرانها المطلية بالكلس الأبيض، وسريرها الخشبي الضخم الذي تعلوه ناموسية كبيرة. إلى جانب السرير رأت مقعداً صغيراً، وصندوقاً مزخرفاً من الطراز العربي. وفي الجهة المقابلة له، لاحظت باباً يؤدي إلى حمام فسيح.

قالت فريا بحدة: «هذا رائع!».

توجهت إلى النافذة ووقفت تمعن النظر إلى الخارج، إلا أنها لم تر سوى براعم أشجار اللوز خلف الشرفة، ولكنها سمعت نقيق الضفادع وضجيج الحشرات وهمسات المحيط..

- أظنك مرهقة.

- هذا صحيح.

فقد كان نهارها طويلاً، بدأ في الساعة الخامسة صباحاً حين دخل ماكس

إلى غرفتها ليوقظها، حاملاً معه كوباً من الشاي.

دهشت قربا حين أدركت أنها خلدت إلى الفراش من دون أن تخلع فستانها، فأسرعت إلى الحمام لتأخذ دوشاً سريعاً، قبل أن ترتدي ملابس مريحة للسفر.

لحسن حظها أنها تذكرت بأن توضّب حقيبتها صباح الأمس، وإلا لما تمكنت من القيام بذلك.. شعرت بارتياح كبير لتولي ماكس ترتيبات السفر كلها.. إذ قام باستدعاء سيارة أجرة، وسجّل الحقائب في مطار هيثرو، ثم قادها إلى بوابة الانطلاق لئلا تضل طريقها وتستقل طائرة أخرى.

استسلمت قربا للنوم طوال الرحلة، وحين استيقظت، وجدت رأسها متكئاً على كتف ماكس، فنظر إليها هذا الأخير من دون أن ينبس بكلمة.

شعرت قربا بتحسن ملحوظ بعد تناولها الطعام.. وحاولت أن تستعيد في رأسها أحداث الأمس.. الشموع.. ولوسي تعانقها مودعة.. رأسها يرتاح على حجر ماكس في سيارة الأجرة وهي تقول له «أحبك»..

رباه! أصحيح أنها قالت له ذلك؟ ولكن هل سمعته حقاً يجيبها قائلاً: «ستدعين لي الصباح» أم أنها اختلقت ذلك؟

نظرت إليه من تحت رموشها فوجدته جالساً يقرأ صحيفته، وقد بدت ملامحه ساكنة.. أتراه يعاملها ببرودة منذ الصباح، لارتباكه أم شفقة عليها؟

أخذت قربا تعبث شاردة الذهن بخاتم الزواج.. كيف تقنعه بأنها تحبه فعلاً لكن مثلما تحب لوسي وبيل؟ عليها أن تكسب ثقته من جديد، حتى تتمكن لاحقاً من البوح له بمكنونات قلبها.

ربما من الأفضل أن تدعي أمامه بأنها تتحرق شوقاً لرؤية دان. سألها ماكس فجأة وكأنه يقرأ أفكارها: «هل أعلمت دان بقدومك؟».

ـ كلا، سأتصل به غداً صباحاً.

ثم أخذت نفساً عميقاً وسألته بنبرة رقيقة: «ما هي مشاريعك؟».

ـ اتصلت بصديق لي وطلبت منه أن يحضر سيارة الجيب إلى المطار.. فمنطقة ولارو تقع على بعد ساعة، ويمكننا التوجه إليها هذا المساء.. إلا إن

كنت تفضلين لقاء دان أولاً.

ثم هز كتفيه بلا مبالاة وتابع يقول: «سأقصد غداً منطقة نائية تدعى (لسونا)، وسأمضي فيها النهار كله لأقابل الزعماء وأني مسح الطريق المجاور لها..».

بعبارة أخرى، لن يضيع وقته سدىً في انتظارها..

افتر ثغرها عن ابتسامة باردة وهي تشبك يديها في حجرها، لتشعر من جديد بنعومة خاتم الزواج.. وبعد أن ترددت قليلاً، نزعته من إصبعها وناولته إياه قائلة: «لم أعد بحاجة إليه.. خذه مني قبل أن أنساه».

أجابها ببرودة وهو يضع الخاتم في جيب قميصه:

ـ هل تخشين أن يكوّن دان فكرة خاطئة؟

ـ كلا، لا أريد أن تتكبد خسائر مادية. أظنك ستبيعه ثانية، أليس كذلك؟

حل ماكس صحيفة قائلاً: «أعتقد ذلك».

بدا لها أنه متضايق منها ففضلت التزام الصمت.. لا شك أنها فقدت صوابها حين ظنت أنه يكفي أن يرحلا معاً بعيداً لتسير الأمور بينهما على خير ما يرام.. فماكس لا يكترث لأمرها بتاتاً، والأمور بدأت تزداد تعقيداً..

استعادت قربا نشاطها وهما يعبران قاعة الوصول المتداعية، وقد عبقت في أنفها رائحة الوقود الممزوجة برائحة اللوز والتوابل.. بعد أن أنهى ماكس الإجراءات الروتينية، صعدت إلى جانبه في الجيب، وانطلق ينهب الطريق المؤدية إلى ولارو نهباً.. تظاهرت قربا طوال الطريق بالنوم وهي تتحسس، وقلبها يعتصره الألم، مكان الخاتم.. لماذا شعرت وكأنها عارية من دونه؟

ها هما الآن وحيدان في الغرفة لا يفصل بينهما إلا السرير العريض.

ـ جلّ ما احتاج إليه هو بضع ساعات من النوم العميق.

ـ سأتركك تنامين على السرير.

نظرت قربا حولها متسائلة: «وأين تنام أنت؟».

أومأ ماكس برأسه إلى المقعد الخشبي قائلاً: «سيفي المقعد بالغرض».

ـ ولكنك لن تتمكن من النوم عليه.

ـ أؤكد لك أنني نمت في أماكن أكثر صلابة.

ردت عليه غاضبة: «هذا سخيف! فالسرير يتسع لكلينا. كما وأنه لا يوجد إلا ناموسية واحدة!».

حولت نظرها عنه مضيفة:

ـ أظن أننا بلغنا سن الرشد، ولا داعي للإحساس بالحرج.

ـ لا بأس إن كنت تريدين ذلك..

وتردد قليلاً ثم تابع يقول: «إنها ليلة واحدة فحسب».

قفز قلبها بين ضلوعها: «هل سترحل؟».

ـ كلا، ولكن خطر لي أنك قد تحجزين غرفة لك وأخرى لفان إن لم يشأ أن يصطحبك إلى أورزوتو.

ـ أجل.. طبعاً.

وعلى الرغم من إرهاقها الشديد، لم يغمض لها جفن.. فوجوده قربها كان يعذبها أشد العذاب، وخشيت أن تتسلل ليلاً وتلتصق به.. راحت تتقلب في فراشها، يميناً وشمالاً، مرغمة نفسها على البقاء مستيقظة لئلا تسقط دفاعاتها وتندس قربه.. فاللهفة الشديدة للمسه ومعانقته كانت تتآكلها.

في نهاية المطاف، أضناها التعب واسترسلت في النوم.. وعندما استيقظت صباح اليوم التالي وجدت نفسها مستلقية على بطنها، وشعرها الأشقر يتطاير حولها.. رفعت رأسها وراحت تفتح عينيها وتغمضهما بسرعة علها تتذكر أين هي..

كانت الغرفة غارقة في نور زهري باهت، وتناهى إليها صوت تكسر الأمواج على الشاطئ، وصراخ عصفور أجش..

أفريقيا.. إنها أفريقيا.

أدارت رأسها فوجدت السرير خالياً.. نهضت واستقامت في جلستها مبعدة شعرها المشعث عن وجهها.. وإذا بها ترى ماكس جالساً على الشرفة، غارقاً في أفكاره، يتأمل المحيط.

لمنت لو تستطيع أن تنهض من سريرها وتجلس إلى جانبه، لتستمتع برفقته ببرودة الصباح. ولكن تصرفاته الفظة خلال الرحلة كانت تعبر عن استيائه من رفقتها.. فعادت واستلقت في السرير، وقد وجدت أن من الأفضل أن تدعه وحده قليلاً.

شعرت قربا بالوحدة، فنامت نوماً خفيفاً. ولكن مع طلوع الشمس، بدأ الحر يشتد، فلم تعد تحتمل البقاء في السرير أكثر.. نهضت ومشت بخطى خافتة نحو الشرفة.

في تلك اللحظة، أدار ماكس رأسه وكأنه شعر بها، فأحست قربا بغصة في حلقها وهي ترى عينيه الشعتين نوماً.

قالت له مرتبكة: «صباح الخير».

ـ نمت جيداً.

ـ بعد انتظار طويل..

ثم أضافت وهي تفكر في الساعات الطويلة التي قضتها تتقلب في السرير: «آسفة، لم أكن أعلم أنني «احتليت» السرير بكامله.. هل أوقعتك أرضاً؟».

ـ استيقظت باكراً جداً.. فأنا أحب هذا الوقت من النهار.

صحيح أنه يكلمها بتهذيب تام، إلا أن التوتر كان يخيم على علاقتهما. أخذت قربا تتأمل المكان بإمعان.. فالشرفة تعج بالنباتات، والسلم يؤدي إلى ممر رملي يلتف حول أشجار جوز الهند ليصل إلى شاطئ أبيض يمتد أمامه المحيط بمياهه الزرقاء الداكنة. أما الخليج الصغير المحاذي له، فمياهه خضراء فاتحة أشبه بقطع من الثلجات بالنعناع.

ـ المنظر جميل جداً.

أعلنت قربا ذلك مبتسمة فيما عيناه الرماديتان تحدقان إليها بغرابة.

ـ نعم.

لف الصمت المكان، فعادت قربا تتأمل المنظر الممتد أمام ناظريها، وهي تشعر بعينيه تلاحقانها.

ـ سأتصل بدان بعد الفطور.

أجابها ماكس بفتور: «من الأفضل أن تتصلي به الآن.. فالمكاتب تفتح أبوابها باكراً بسبب الحر الشديد، وقد لا تجديه في المنزل إن تأخرت قليلاً.. انزلي إلى مكتب الاستقبال وأعطيهم رقم المنزل فيطلبونه لك».

ارتدت فريا ملابسها على عجل ونزلت إلى مكتب الاستقبال وهي تشعر وكأن أحدهم يدفعها لتستقل قطاراً يقصد وجهة مختلفة عن وجهتها.

وكم شعرت بالارتياح حين سمعت صوت دان على المجيب الآلي يقول إنه سيغيب حوالى عشرة أيام في مهمة رسمية إلى زامبيا..

أعادت فريا السماعة إلى مكانها على مهل، وقد ارتأت ألا تخبر ماكس بالأمر، لئلا يضعها على الطائرة التالية المتوجهة إلى كينشاسا.

عند عودتها إلى الشرفة، وجدته جالساً تحت أشجار النخيل، وأمامه مائدة عامرة بما لذ وطاب، فقالت له: «لم يجب أحد».

ظهر في عينيه وميض اشتباه وهو يقول لها: «هل غاب أملك؟».

أجابته كاذبة: «نعم».

ـ هل ستحاولين الاتصال به لاحقاً؟

ـ عند المساء.

قالت له ذلك، آملة أن تتحلى عندئذ بالشجاعة الكافية لتخبره الحقيقة.

جلست فريا قبالته، فأحضر لها النادل ثمار الليم والبابايا.

سألها ماكس بحدة: «ما الذي ستفعلينه اليوم؟ هل ستتسكعين على الشاطئ؟».

ـ هل أستطيع مرافقتك؟

ـ مرافقتي؟

ـ أود أن أرى البلاد.

حذرها قائلاً: «لن تكون الرحلة مريحة!».

ـ لا يهم!

كل ما يهمها هو أن تبقى إلى جانبه!

غادرا الفندق بعد الفطور مباشرة، وتوجها شمالاً نحو الطريق الساحلية.. وكما حذرها ماكس، تبين لفريا أن الطرقات في حالة يرثى لها فعلاً، وكلما توغلا أكثر في البلاد، كلما كان الغبار الأحمر يتطاير حولهما أكثر.. ناثراً عليهما طبقة رقيقة من الرمل الأحمر.

غير أنها لم تكن تبالي مطلقاً، إذ أثارها منظر الأشجار الاستوائية الشاهقة، والحياة البرية بأشكالها كافة.. ولعل أكثر ما كان يجعل الدماء تتدفق حارة في شرايينها هو الرجل الجالس إلى جانبها.. فهي لم تره من قبل في هذه الهيئة، إذ ارتدى قميصاً قطنية باهتة اللون، وسروالاً قصيراً فضفاضاً، وبدا وجهه ينبض برجولة مغرية.

ـ أنظري.

وتوقف قليلاً مانحاً لها الفرصة لتشاهد قطيعاً من الفيلة يعبر بين الشجرات.. التفتت فريا نحوه مبتسمة، فأحست بعينيه تشتعلان اشتعالاً بعث الدم في وجنتيها.. فنسيا القطيع وراحا يحدقان إلى بعضهما البعض بشوق جارف.. إلا أن ماكس حوّل نظره عنها فجأة قائلاً بحدة:

ـ من الأفضل أن نتابع سيرنا.

وعلى الرغم من أنهما لم يبتعدا سوى مسافة ثلاث ساعات بالسيارة عن الحضارة، إلا أن بلدة أزوشا بدت وكأنها تنتمي إلى عالم مختلف كلياً.. فطرقاتها بدائية إلى حد أنه يتعذر اجتيازها في بعض الأماكن.

استمتعت فريا بزيارتها للبلدة، وتصادقت مع بعض الأولاد وراحت تلاعبهم وهي تنظر بين الحين والآخر بطرف عينيها إلى ماكس.

وفي وقت لاحق، ساعدته على حل معداته، وهو يقبس الطريق، لا مبالية بلهجته الآمرة ونبرته العالية.

ـ أرجو ألا تكوني قد شعرت بالملل.

سألها ماكس ذلك وهما يهمان بالرحيل.. لوحت فريا للأولاد الذين تجمهروا حول الجيب.. الملل؟ أيعقل أن يعرف الملل طريقه إلى قلبها وهي برفقته؟

ردت مبتسمة: «كلا، لم أملَّ أبداً».

توعدها قائلاً: «سننزل فور عودتنا إلى البحر، ونحتسي شراباً منعشاً».

- وسآكل سندويشات السرطان بصلصة المايونيز؟

ضحك ماكس وهو يدير السيارة وقال: «لكِ ما تشائين».

بقيت ضحكته عالقة في خيالها طوال الطريق، ولم تفارق عيناها وجهه المفعم بالحياة، وهي تحاول إخماد النيران المشتعلة في داخلها. فجزء منها يتوق للارتماء في أحضان المياه الزرقاء وإزالة غبار النهار عن شعرها وبشرتها، والجزء الآخر يتمنى لو أن رحلتهما هذه تدوم إلى الأبد.

عند وصولهما إلى الفندق، كانت الشمس قد بدأت تميل إلى الغروب، لكنهما شعرا بحرارة الرمال تحت أقدامهما فنزلا إلى البحر، وراحا يسبحان، مستمتعين بالمياه المنعشة بعد نهار طويل وحار.

وفجأة ظهر ماكس إلى جانبها قائلاً: «ألا تشعرين بتحسن؟».

- بلى..

وجوده قربها أثار اضطرابها فقالت له بعصبية: «سأذهب لأستحم».

وقفت فريا تحت الدوش محبطة، وهي تعلم في قرارة نفسها أنها لم تعد قادرة على احتمال وجوده قربها، من دون أن تتمكن من لمسه.. فقررت أن تقول له الحقيقة لتضع حداً لهذا العذاب.

دخل ماكس إلى الغرفة فيما كانت تسرح شعرها، فقال لها:

- طلبت من النادل إحضار العصير والسندويشات.

ثم سألها برقة: «هل أستطيع دخول الحمام؟».

بدا هادئاً مبتسماً، وكأن صعودها المفاجىء إلى الغرفة لم يثر قلقه مطلقاً..

ولكن ماذا لو أفسد اعترافها علاقتهما الجميلة؟ أتراها ستقدر على تحمل معاملته لها بفتور، كما حصل البارحة؟ كلا، لقد آن الأوان لقول الحقيقة.

كانت فريا ترتدي فستاناً صيفياً من القطن الناعم الشفاف نزولاً عند

إلحاح لوسي، وقد تركت شعرها منسدلاً على كتفيها، حين خرجت تنتظر ماكس على الشرفة.

لم يخرج ماكس من الحمام إلا بعد أن لف الظلام المكان. فحمل الشراب والسندويشات التي أحضرها النادل، ووضعها على الطاولة أمامها ثم ناول فريا كوباً من الشراب البارد، وهو يسألها:

- هل حاولت الاتصال ثانية بدان؟

- كلا!

- لماذا؟

أخذت فريا نفساً عميقاً وأجابت: «لم أكن صادقة معك هذا الصباح.. فقد ترك دان رسالة على المجيب الآلي يقول فيها إنه سيغيب مدة عشرة أيام».

- آسف.

ثم تابع يقول، وكأنه يحاول انتقاء كلماته بعناية:

- لا شك أنك صدمت لأنك كنت تتلهفين لرؤيته.

لوت فريا فمها وهي تهزّ رأسها بالنفي:

- إطلاقاً.. لأنني أدركت منذ أسابيع أنه لم يعد يعني لي شيئاً.

ثم أشاحت بنظرها بعيداً وتابعت تقول:

- كنت محقاً حين قلت لي إن حبي له مجرد وهم.

- لا بد أنك تشعرين بشيء حياله وإلا لما قطعت هذه المسافة لرؤيته.

أبت فريا الإجابة، وقد أحست بأن لسانها عاجز عن الكلام.

سألها ماكس بنبرة هادئة: «لمَ أتيت إلى أفريقيا يا فريا؟».

كان النسيم العليل يداعب وجهها حاملاً معه رائحة البحر والشمس الممزوجة بأريج زهر اللوز الذكي..

أجابته بصعوبة: «أليس هذا سبباً كافياً؟».

- حقاً؟

أدارت وجهها لتواجهه وقالت تعترف له: «كلا، أتيت من أجلك.. أردت أن أكون بقربك وإن لفترة قصيرة من الزمن».

كان ضجيج الحشرات المزعج يصم الآذان، وسط السكون العميق الذي خيم عليهما لبعض الوقت.

قالت له وهي تشيح وجهها بعيداً: «آسفة.. لم أقصد إحراجك.. صحيح أنك قد لا تصدقني بعد كل ما حصل مع دان ولكنني حسبت نفسي هاتفة به.. بينما كنت في الحقيقة أبحث عن دافع لأخبرّ حياتي وأخرج من عزلتي».

وتابعت تقول مبتسمة: «وحياتي تغيرت فعلاً.. ولكن ليس بفضل دان.. بل بعد عودتك إلى المنزل حين أغرمت بك».

قال لها ماكس أخيراً: «وهل أنت مغرمة بي؟».

بدت لهجته غريبة، فتعذر عليها معرفة ما إذا كان مسروراً أم مذعوراً.

- نعم.

- ولكن لماذا أوهمتني بأنك مغرمة به؟

- كنت أغار من كايت.. فهي جميلة وذكية وحسبتك على علاقة بها.

- كايت؟ ولكنها لم تعد تلتفت إلى رجل منذ أن تعرفت إلى جون.

أجابته تدافع عن نفسها: «لم أكن أعلم ذلك.. أخبرتني لوسي أنك كنت على علاقة بفتاة في تانزانيا.. فحسبت أنها كايت».

- إنها جيلي، وهي تعمل حالياً في البوتسكو.

ثم تابع يقول مبتسماً: «جيلي فتاة رائعة، ولكنني لست مغرماً بها».

- حقاً؟

- نعم، فأنا مغرم بفتاة أخرى.

شعرت قربا بغصة في حلقها، وراحت تتأمل الخليج والألم يعتصر فؤادها.

- فتاة لها عينان خضراوين مشعتين، تثير ثائرة استيائي فأرغب في ضربها، وتثير طوراً مشاعري فأرغب باحتضانها.. فتاة ابتسامتها تغويني وعنادها يحرك أحاسيسي.

توقف ماكس قليلاً عن الكلام ثم تابع يقول بصوت خفيض:

- فتاة تشبهك بعض الشيء.

أدارت قربا رأسها نحوه ببطء، فإذا به يأخذ الكوب من يدها ويضعه على الطاولة، ليجلسها بقربه..

- في الواقع، إنها تشبهك تماماً.

وبدت عيناه مثقلتين بحرارة لم ترَ لها مثيلاً من قبل.

فراحت الشكوك تساور قربا.. أترانها تحلم؟

سألته بحذر، وهي شبه مقتنعة بأنها ستستيقظ في أي لحظة لتجد أن خيالها خدعها من جديد: «أنا؟».

- نعم أنت!

وعانقها ماكس بشوق جعلها تتأكد من أنها لا تحلم أبداً.. فوضعت ذراعيها حول عنقه وبادلته العناق بآخر أكثر شغفاً إلى أن انتشت من السعادة.

همست في أذنه: «ليتني علمت من قبل».

- حسبت أن الأمر كان واضحاً..

ثم شدّ ذراعيه حولها مضيفاً: «وحدها كايت أدركت حقيقة مشاعري نحوك، قبل أن أعي ذلك بنفسي، وأظن أن لوسي على علم بالأمر أيضاً».

- لوسي! ولكنها لم تقل لي شيئاً..

- لعلها ظنّت مثلي بأنك مغرم بدان.

- ألهذا السبب عاملتني بفظاظة؟

- كنت أشعر بالغيرة.

وضمها إلى صدره وهو يتابع كلامه قائلاً: «لطالما سمعتك تقولين إنه رسيم ولطيف ولا أحد يضاهيه.. فحسبت أنني لن أستطيع منافسته أبداً، على الرغم من إلحاح كايت عليّ لأصارحك بالأمر».

وضعت قربا رأسها على صدره وهي تتنهد راضية:

- لماذا وافقت على مرافقتي إلى أنريليا لمقابلته؟

- أظن أهوى تعذيب نفسي.. ولكنها كانت الفرصة الوحيدة لأبقى

بقربك.. ألم تخطر هذه الفكرة في بالك؟

وأطلق ضحكة رنانة مضيفاً:

ـ صحيح أنني لست ثرياً، ولكنني لا أعتمد على الفوز بتذاكر السفر.. كان بوسعي المجيء ساعة أشاء ولكنني أردت مرافقتك.. فقد اقترحت عليّ كايت أن أغمرك بعطفي ورعايتي علك تنسين دان.. وتلك الليلة حين تركك وحيدة في وسط الشارع، خيل إليّ أن حبي لك لم يعد مستحيلاً.

ـ لَمَ لم تقل لي شيئاً يومها؟

ـ خشيت أن أقوم بتصرف خاطىء، فأجعلك تجفلين.. لكنني كنت أعلم أن دان سيؤذيك عاجلاً أم أجلاً، وتمنّيت أن يتهرب منك، عند وصولك إلى أفريقيا، لترتمي بين أحضاني ناشدة العزاء.

ـ مثلما حصل ليلة عيد ميلاد لوسي الواحد والعشرين؟

ـ تماماً.

نظرت إليه بجدية وسألته: «ولكنك لن ترحل هذه المرة، أليس كذلك؟».

ـ كلا، لن أهجرك ثانية.

وتابع يقول: «في تلك الليلة، كنت خائرة القوى ومستاءة من صديقك، فحسبتك لا تدركين ما تفعلينه.. فمنذ كنت فتاة مراهقة، وأنا أشعر بضعف تجاهك، وكلما كنت أرحل بعيداً، أعود لأجدك تزدادين جمالاً ونضجاً.. وعندما ارتميت يومها في أحضاني لم أقو على مقاومتك..».

ـ ألهذا السبب رحلت؟

ـ شعرت بالذنب لأنني استغليت ضعفك، في حين كنت أتمنى الفوز بقلبك.. وفي المرات القليلة التي قابلتك فيها بعدئذ كنت تتفادين التحدث إليّ، أو حتى النظر إليّ، فحسبتك نادمة على ما حصل بيننا.

توقف قليلاً عن الكلام ثم تابع يقول: «قررت بعدها أن أنسى الموضوع برمته، وأعتبر ما حصل بيننا مجرد محاولة فاشلة. ولكنني رأيتك من جديد، فشعرت بالسخط لأنني لم أتوقف يوماً عن التفكير فيك.. أعلم أنني جعلت

حياتك جحيماً ولكنني أعدك بأن أعوض عليك».

سألته وهي تحاول إغاظته: «وكيف ستفعل ذلك؟».

ـ في الواقع اشتريت لك خاتم زفاف غالي الثمن.

ـ ماذا؟ ولكنك قلت للوسي إنه بخس الثمن.

ـ كذبت عليها.. ففي بادىء الأمر، أردت شراء قطعة رخيصة ولكنني بدلت رأيي وفضّلت أن أقدم لك خاتماً جميلاً، حتى وإن وضعته ليوم واحد فقط.

ـ إنه خاتم جميل جداً..

ثم نظرت إلى إصبعها الخالي وأضافت: «لم أكن أريد أن أنزعه».

أمسك ماكس بيدها وطبع قبلة عليها، وقال لها ملحاً:

ـ ما رأيك لو نتزوج من جديد، فتضعينه في إصبعك إلى الأبد؟ يمكننا أن نستمتع أولاً برحلة شهر العسل هذه، ونرسل صوراً لمجلة «عرس الأحلام»، ونعود بعدئذ إلى ديارنا لنستعد لحفل زفافنا الحقيقي.

تظاهرت فريا بأنها تفكر قليلاً في الموضوع ثم قالت له:

ـ أظن أن لوسي ستستغل هذه الفرصة لتعتمر قبعتها المضحكة تلك من جديد.. هل سندعو هذه المرة والدينا؟

ـ سندعو أهلنا وأقاربنا وأصدقاءنا كلهم.. وسأختار بيل اشبيناً لي لأنه لعب دوره باتقان في المرة الماضية.

ـ سيكون في غاية السعادة.

ـ اذن.. هل تقبلين الزواج بي؟

ـ طبعاً.

ودفن رأسه في عنقها وأطال العناق حتى اشتعلت نيران حبها.

* * *

www.liilas.com